415

HARLEQUIN

روايات أحلام

لن أعود إليه

ماغي كوكس

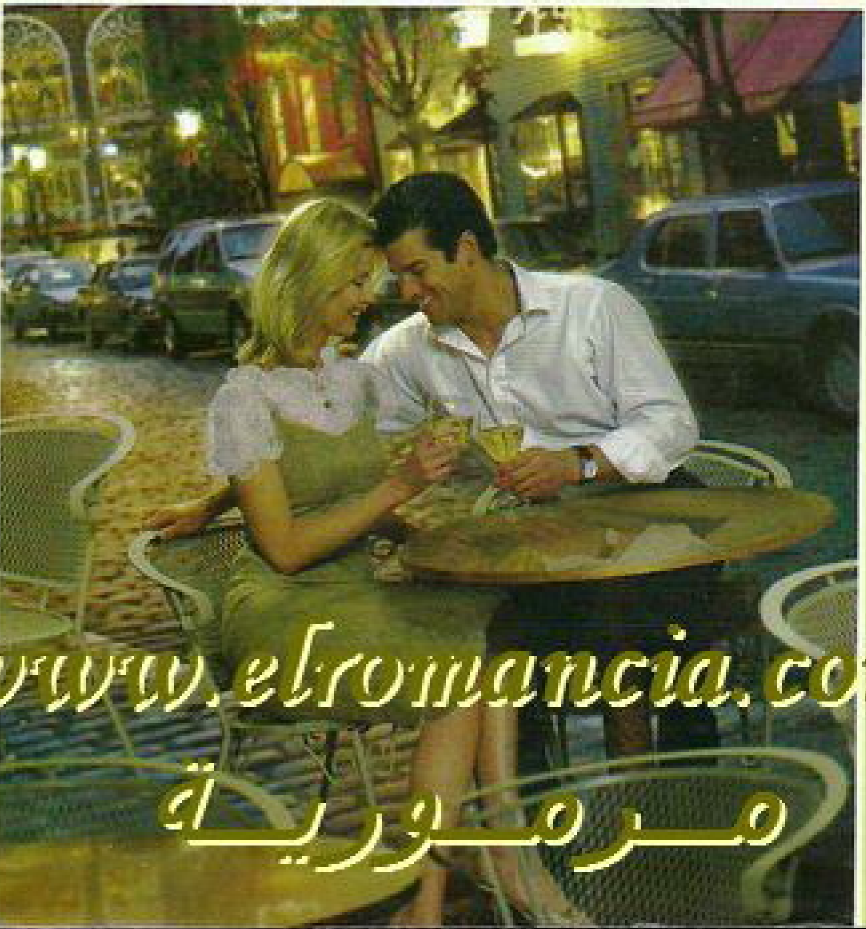

www.elromancia.com

لن أعود إليه

لماذا عاد ماك إلى حياتها بعد غياب خمس سنوات؛ وماذا يريد منها؛

ـ ماذا أريد؛أريد الطلاق يا تارا . هذا ما أريده؛

ـ أتعني أنك تريد أن تتزوج مرة أخرى؛

لم تستطع أن تفكر في سبب آخر يجعله يأتي إليها ويطلب الأمر الوحيد الذي تجنباه .

ـ نعم . لقد تعرفت إلى امرأة .

لم يكن لديها مانع ، فقد كانت تعلم دائماً أنه يفضل عليها المال والنجاح ، ومع ذلك كان عليها أن تخبره بما حدث بعد رحيله . ذهل ماك لإخفاء سرها عنه كل هذا الوقت الطويل . عليه أن يعيد الآن التفكير في الموضوع كله . لكن تارا ليست مستعدة لأن تغفر . فماذا يستطيع ماك أن يفعل؛

ماغي كوكس

عندما شاهدت ماغي كوكس أحد الأفلام الرومنسية الذي أثر فيها تأثيراً شديداً، ولد تعلقها بالروايات العاطفية. ومنذ ذلك الحين وهي تحلم وتبتكر رواياتها الخاصة سراً على أمل أن تُنشر رواياتها يوماً وتمتهن عملاً تحبه!

الآن وقد تحقق حلمها، تشكر ربها كل يوم على النعم التي أغدقها عليها.

هي متزوجة من رجل رائع وأم لابنين رائعين أيضاً. اما هواياتها فهي إلى جانب اهتمامها بعائلتها وحبها للتأليف والمطالعة، الموسيقى، ومشاهدة الأفلام.

١ - اتحبينني حقاً؟

لقد سلب الطفل عقلها. طفل رائع الجمال ذو شعر أشقر باهت يثرثر وهو جالس أمامها على ركبتي أمه. سحرها بابتسامته العريضة، وأطاح بكل خططها للاستمتاع بيوم عطلتها هذا لمجرد أنّ اسمه غابرييل. وعندما نزلت من القطار في محطة «ليڤربول ستريت»، كانت عيناها مغرورقتين بالدموع، فأخذت تبحث في حقيبتها عن قطعة نقود لتدخل إلى إستراحة السيدات.

أخذت تحدق في صورتها في المرآة، ثم سارعت تصلح من زينة وجهها وهي تحاول أن تهدىء نفسها بالتنفس بعمق. كان ذلك منذ خمسة أعوام... خمسة أعوام... فلماذا لم تنسه بعد؟ من سوء حظها أن الطفل في القطار يحمل أيضاً اسم طفل آخر رائع الجمال...

لم تأخذ إجازة منذ مدة طويلة، لذا ستختار أماكن مغمورة بأشعة الشمس تذكرها بأنها في الثلاثين من عمرها وأنّ الحياة ما زالت أمامها مليئة باللهو والمرح.

أخرجت فرشاة من حقيبة كتفها وأخذت تسرّح شعرها الأشقر المنسدل على كتفيها، ملاحظة أن غرّتها بحاجة إلى تقصير. ثم انتصبت في وقفتها وخرجت من الباب الدوّار إلى زحمة محطة «ليڤربول ستريت» المألوفة.

وبعد ثلث ساعة، شعرت بالانتعاش بعد أن ارتشفت فنجان قهوة من بائع جوّال، فتوجهت إلى الميترو تحت الأرض لتستقله متابعة رحلتها

إلى حي «ساوث كونزينغتن».

كان جوّ المتحف خانقاً إلى حدّ لا يطاق، لكنها حاولت أن تتناسى الحرارة، وأن تركز على ما تتأمله، وهو مجموعة من الملابس التاريخية تمثل أزياء أوروبا على امتداد أربعمئة سنة. لطالما كان هذا هو المكان المفضل لديها لتبدأ منه زيارتها. توقفت وخلعت سترتها ثم أخذت تسرّح شعرها بأصابعها. وتندت يدها بالعرق المتلألئ على جبينها. بعدئذ، راحت الغرفة تدور بها.

- يا إلهي...

وأراحت رأسها على إحدى خزائن العرض الزجاجية، وهي تطرف بعينيها. دعت الله أن يخلّصها من هذا الإحساس بالدوار. لو أنها بكرت في النهوض من السرير هذا الصباح لما اضطرت إلى الركض لتلحق بالقطار... كما أنها تركت البيت من دون أن تتناول أيّ طعام، كما تملكتها الصدمة وهي تسمع اسماً ما زال يتردد في ذهنها منذ أعوام.

- هل أنت بخير، يا عزيزتي؟

ووضعت امرأة مسنّة بالغة الرقة يداً مجعدة على كتف تارا، فتأثرت للطف هذه السيدة الغريبة وفتحت فمها لتتكلم... لتخبر سائلتها القلقة أنها بخير... وأن كل ما عليها أن تفعله هو أن تجلس لدقيقتين فتصبح على أحسن ما يرام... لكن الكلمات لم تخرج من فمها. حاولت مذعورة أن تستوعب هذا الإحساس المخيف بأنها توشك على السقوط من ارتفاع شاهق، لكن عالمها بأكمله مال فجأة، وشعرت بنفسها تنزلق نحو الأرض.

- تارا، تارا، استيقظي. هل تسمعينني؟

إنها تعرف هذا الصوت، تعرفه بشكل حميم. صوت ناعم بنعومة المخمل. وازداد توتر أعصابها. أولاً الطفل... والآن هذا... إنه

صوته الذي لم تسمعه منذ خمس سنوات طويلة... لا بد أن السبب في كل هذا هو إرهاقها نفسها بالعمل... نعم، هذا هو التفسير الوحيد.

تسارعت دقات قلبها وهي تفتح جفنيها. بدا لها السقف العالي بعيداً أميالاً عديدة. لكن هذا المشهد لم يكن ما لفت انتباه جسدها وروحها... بل النظرات الحادة لتينك العينين الزرقاوين اللتين تظللهما أهداب كثيفة شقراء، وهي تنصبّ عليها، وتلك الغمازة العميقة في فكه القوي، والوجنتان العاليتان في وجه يعكس رجولة ما تجعل المرء يفكر في أن يرسمه... ليثبت وجود جمال رجولة إلى هذا الحد.

- ماكس.

التجاوب الوحيد الذي رأته على ملامحه لدى سماع اسمه هو إجفال خفيف في جانب فكه. وتملكتها خيبة أمل، ثم شعرت بجرح في كرامتها تلاه تشوش مؤقت في الذهن.

- هل تعرف هذه الشابة؟

وكانت المتكلمة هي السيدة التي يفوح منها عطر اللافندر، والتي راحت تحدق في «الشخص الرائع» الأشقر وهو ينحني فوق تارا.

فقال بلهجة متوترة ظهرت فيها لكنة إسكندنافية خفيفة: «نعم. أعرفها. من مصادفات القدر أنها زوجتي»

- حسناً، لا أظن أنه من الحكمة أن تتركها تجول في الأنحاء وحدها. تبدو لي شاحبة للغاية. لماذا لا تساعدها كي تجلس وتعطيها بعض هذا الماء لتشرب؟

وأخرجت المرأة من حقيبتها زجاجة مياه معدنية صغيرة. فقالت تارا وهي تجاهد لتجلس: «إنني بخير، صدقني».

وعجبت لقدرتها على التفكير والتحدّث بشكل مترابط بينما قلبها يكاد ينفجر لشدة خفقانه. لقد أغمي عليها. هذا واضح لكن من أين جاء ماك وماذا يفعل هنا؟ ولماذا هو بالذات، من بين كل الناس، قدّر

www.elromancia.com

له أن يشهد على موقفها الحرج هذا. لماذا؟ لِمَ هو وليس أي شخص آخر؟ بصرف النظر عن صديقتها المسنة التي تفوح منها رائحة اللافندر؟

سألها وهو يفتح زجاجة ماء ويضع يده خلف رأسها: «هل أكلت؟»

لفظت بعض الماء عندما امتلأ فمها، لكن ما ابتلعته منه جعلها تشعر بالارتياح على الفور.

سألته وهي تمسح فمها بيدها: «ماذا تعني بسؤالك إن كنت قد أكلت؟»

لم تتوقع أن تبدو بأحسن حالاتها بعد أن أغمي عليها لتوها، لكن رؤيتها له مرة أخرى جعلتها تشعر بمرارة حلوة.

– لقد اعتادت أن تنسى أن تأكل، وهذه ليست المرة الأولى التي تتعرض فيها للإغماء.

فقالت المرأة المسنة وهي تعيد زجاجة الماء إلى حقيبتها: «إنها بحاجة إلى رعاية. لماذا لا تأخذها إلى المقهى لتأكل شطيرة؟»

– شكراً. كنت على وشك أن أفعل هذا.

كانت لهجته ساحرة بشكل خادع وهو يبتسم إحدى ابتساماته المدمّرة التي تعرف تارا تأثيرها جيداً، قبل أن يعود بنظراته إليها ببطء متعمّد، وقد غصت بريقها فيما أخذ قلبها يخفق بعنف...

– لا أريد شطيرة.

وجاهدت لكي تقف وقد عاودها استياؤها القديم.

أخذت تنفض تنورتها الطويلة من الغبار وعيناها الخضراوان تلمعان تمرداً وغضباً ما جعله يفهم أنها لا ترحّب بتدخله هذا... مهما أبدى من لطف.

يا لجرأته! هل نسي أنهما لم يريا بعضهما البعض منذ خمس سنوات؟ هل ظن أن بإمكانه أن يعود إلى حياتها ليكمل المسير من حيث تركه؟ هكذا بكل بساطة؟

لا، لم يظن ذلك طبعاً. واعتصر قلبها. إنها غبية وحمقاء، فلو أراد أن يستأنف حياته معها لاتصل بها منذ وقت طويل، قبل أن تبني حول قلبها سوراً لا يمكن اختراقه لتتجنب الألم وخيبة الأمل.

– حسناً، اهتما ببعضكما البعض.

وتركتهما المرأة المسنة بابتسامة شغوف ولطف بالغ وكأنها تتحدّث إلى حفيدين حبيبين، وابتعدت. بللت تارا شفتيها بلسانها ونظرت إليه خلسة.

كان يشرف عليها من عليائه، طويلاً، عريض الكتفين، رياضي الجسم، تنضح منه السيطرة والغطرسة بطريقة جعلتها تشعر بأنها أنثى ضعيفة، رغم ما أقنعت به نفسها خلاف ذلك. كان شعره أطول قليلاً مما تتذكره، لكنه ما زال أشقر بسيطاً ومثيراً إلى درجة لا تصدّق. بدا شعره وكأنه يتوسل إليها أن تتخلله بأصابعها...

وسالت على ظهرها قطرة من العرق.

– ماذا تفعل هنا؟

كانت تعلم أن صوتها يفتقر إلى قوته المعتادة، ما جعلها تكلمه بجفاء فتبقى منيعة اتجاهه.

بدت غمازة مغرية عند زاوية فمه، وأجاب وهو يسوّي سترته: «جئت لأراك. وماذا غير ذلك؟»

أخذ ماك ينظر إليها وهي تأكل شطيرتها رغماً عنها. بدا كأنها تأكلها مرغمة وليس لأنها بحاجة إليها أو لأنه يظن أنّ ذلك في مصلحتها. ما زالت بالعناد نفسه الذي يتذكره. عنيدة و... رائعة.

كانت خلاّبة بشعرها الأشقر المشعث ووجهها الإنكليزي الملامح والمليء بالصحة والحيوية، وبشرتها البيضاء الناعمة وعينيها الخضراوين كزمردتين. لقد اشتاق إليها حقاً. وخفق قلبه. وفجأة، لم يعد واثقاً من صحة ما كان ينويه.

لكنه عاد فحدث نفسه بأن يتماسك. كل ما عليه أن يفعله هو أن يخبرها بما يريد، ثم يذهب. بعدئذ، لن يحتاج لأن يراها مرة أخرى أبداً. لكن شيئاً ما في أعماقه رفض هذه الفكرة.

قالت عابسة وهي تقلب شفتها السفلى الغليظة باستياء لم يخفف من جاذبيتها: «ما كان على عمتي أن تخبرك أين يمكن أن تجدني. وعلى أيّ حال، كيف عرفت أين تبحث عني؟»

- لطالما كنت تعشقين النظر إلى الملابس.

كان هذا صحيحاً. وغالباً ما كانت تجرّ ماك معها، بعد أن تعده بأنها ستحضر أحد العشاءات المملة معه إذا ما جاراها بالطريقة التي تفضلها لتمضية وقتها.

قضمت من شطيرتها قضمة أخرى. «التونة» مع «المايونيز» هي شطيرتها المفضلة، لكن يبدو أن حاسة التذوق معطّلة الآن لأن ماك، الرجل الذي منحته قلبها طوال تلك السنوات، يجلس أمامها وكأنه لم يرحل عنها قط.

لكن عندما تشابكت نظراتهما لم تر في ملامحه أي دفء، بل بدا حيادياً غير مبتسم، كأحد هذه التماثيل الرائعة التي تزين بعض القاعات. إنه بعيد عنها كما كان في الأشهر الستة الأخيرة المؤلمة التي أمضياها معاً، والتي كانت من أطول وأصعب الأشهر في حياتها وأشدّها وحدة ووحشة. حينذاك، انقطع الكلام بينهما تقريباً، حتى أن كل واحد منهما أخذ يبحث عن الملجأ والراحة في مكان آخر. ماك في عمله، وتارا في رقصها.

- من الأفضل أن تخبرني بما تريده بعد أن تكبّدت هذا العناء كله في البحث عني.

ليس الوحيد الذي يمكن أن يصمم على الانفصال، كما خطر لها بتمرّد. وآخر ما تريد أن يستنتجه هو أنها ما زالت تفتقده. لكن مجرد

رؤيته مرة أخرى بعث إلى الحياة مشاعر طال دفنها. الحب والخوف والمرارة والندم... مشاعر حاولت جاهدة أن تتخلّص منها... إنما يبدو أنها فشلت بشكل تعيس.

توتر فكه الحليق، الذي كانت تشعر به كالمخمل الخشن عندما تحك خدها بخده، ولاحظت أنه يضع عطر ما بعد الحلاقة المثير نفسه الذي كانت تقرنه به دوماً.

- ماذا أريد؟ أريد الطلاق، يا تارا. هذا ما أريده.

- أتعني أنك تريد أن تتزوج مرة أخرى؟

لم تستطع أن تفكر في سبب آخر يجعله يأتي إليها ويطلب الأمر الوحيد الذي تجنباه في السنوات الخمس الفائتة. وعندما لم يجب على الفور، أخذت تنظر من حولها إلى الناس الذين كانوا يدخلون إلى المقهى ويخرجون منه بينما قلبها يخفق بسرعة. أرادت أن تكسب بعض الوقت الثمين... وقتاً تتظاهر فيه بأنها لم تسمع طلبه الذي لم تكن تريد أن تسمعه على الإطلاق.

- لقد تعرفت إلى امرأة.

طبعاً! تعرّف إلى امرأة، فالنساء ينجذبن دوماً إلى ماك... كما ينجذب النحل إلى العسل. لكنه لطالما طمأنها أن عينيه لا تريان سواها.

- إنني مدهوشة وحسب لأنك لم تطلب ذلك قبل الآن.

وأبعدت من أمامها الطبق حيث الشطيرة التي لم تلمسها، ثم عضت شفتها لتمنع دموعها من أن تنهمر. لن تسمح لنفسها بأن تنهار أمامه. لقد رآها في أضعف حالاتها، ومع ذلك تركها ورحل. رحل بعيداً...

رأى ماك الشحوب يكسو وجهها فعجب لذلك. لقد انتهى زواجهما منذ زمن طويل فلا يمكن أن يصدمها إلغاؤه نهائياً بعد كل تلك السنوات. في الواقع، كان مدهوشاً لأنها لم تبادر هي إلى الإتصال به.

كان واثقاً تماماً من أن رجلاً لطيفاً سيختارها حالما تتحرر منه، إلى حد أنه كان يخشى في كل يوم من العام الأول لفراقهما، أن يرفع سماعة الهاتف إذا رنّ، وأن يقرأ بريده، لئلا يكون المتصل تارا تطلب منه الطلاق.

تخلل شعره بأصابعه وهو يقول: «لم أجد داعياً لذلك حتى الآن».

وتملكتها صدمة وهو تلاحظ المحبس البلاتيني الذي ما زال في إصبعه. لماذا لم يخلعه حتى الآن؟ ونظرت خلسة إلى محبسها الذي ما زال في إصبعها ثم أخفت يدها في حجرها.

سألته متجاهلة الصوت الخفي الذي هتف بها ألاّ تعذب نفسها: «ما شكلها؟ أعني خطيبتك هذه؟ لا بد أنها امرأة عاملة، قوية العزيمة من دون شك. . . مولعة، هي أيضاً، بالعمل في تصميم الأزياء؟»

– عليك أن تنهي شطيرتك. لا تريدين أن تتعرضي للإغماء مرة أخرى. في المرة القادمة لن أكون هنا لأساعدك.

– ألم تكن هذه هي المشكلة كلها، يا ماك؟ لم تكن بجانبي قط عند حاجتي إليك. لطالما جاء العمل أولاً. حسناً، أرجو أن يكون هذا قد جلب لك النجاح الذي كنت تحلم به. ومن الواضح أن هذا ما حدث بدليل هذه البذلة الفاخرة التي ترتديها.

– لم أنكر قط أنني طموح، وقد عرفت هذا منذ البداية. لكنني كنت أجاهد في العمل من أجلنا، يا تارا. أنا لست ذلك الوغد الأناني كما يبدو أنك تظنينني.

– لا. لطالما كنت كريماً يا ماكس، بمالك وهداياك الثمينة. ولكن ليس بوقتك.

أقرّ بصمت، بصحة ما تقول. يعلم الله أنه ندم على كل لحظة تخلّى فيها عنها. . . سواء أكان ذلك إلغاء دعوة على العشاء، أو أمسية في المسرح خططا لها منذ مدة، أو إرسالها وحدها في إجازة لأن عملاً

هاماً طرأ فجأة. هذه هي الحال في عالم الإعلانات. . . الكل يريد عمله لكنه لا يريد أن ينتظر، فثمة وكالة أخرى مستعدة دوماً للقيام بهذا العمل بشكل أسرع وبكلفة أقل. لقد جاهد كثيراً ليجعل وكالته إحدى أفضل وكالات الإعلان في البلاد، لكنه دفع ثمن ذلك غالياً. وقد يقول البعض إنه أغلى مما يجب.

– لماذا انتقلت من لندن لتعيشي مع عمتك؟

– هذا ليس من شأنك؟

لكن نظراته بقيت ثابتة: «قالت لي إنك تخليت عن التدريس لكي تساعديها في المحل. هذا مؤسف، فلطالما كنت متحمسة لتعليم الرقص».

– حدثتك عمتي «بيث» عني أكثر من اللزوم. وكعادتك تستنتج أن أي قرار أتخذه في حياتي لا بد أن يكون خاطئاً.

فقال بحيرة صادقة: «هل أفعل هذا حقاً؟ لم أقصد هذا على الإطلاق. أدهشني فقط أن تتركي عملاً تحبينه جداً».

– نعم، حسناً. أنت تعلم الآن كل شيء عني، أليس كذلك؟ أخبرني إذن، ما الذي جعلك تقرر أن تحاول مرة أخرى؟ أعني الزواج! في آخر أيامنا معاً صرخت بي قائلاً إن زواجك أكبر غلطة اقترفتها في حياتك.

الألم في حلقها جعل كلماتها تخرج بصعوبة. لقد جرحها حينذاك بكلماته القاسية الغاضبة تلك، قبل أن ينطلق خارجاً من البيت من دون أن يتيح لها الفرصة لتصلح الأمور. وفي اليوم التالي اتصل بها هاتفياً ليقول إنه راحل. تلك الليلة، عاد إلى البيت ليحزم أمتعته ثم تركها محطمة، وخرج من الباب بهدوء. وبعد أيام أرسل لها شيكاً بمبلغ ضخم، مع بطاقة مصوّرة تحمل لوحة زيتية لرسام شهير تمثّل زنابق مائية، فمزقتها مع الشيك وألقت بها في القمامة.

قال بكلمات مترددة: «توفي أبي السنة الماضية بالسرطان».

وخفق قلبها للألم الذي رأته في عينيه الزرقاوين العميقتين. لكنها لم تتعرف قط إلى والديه، فلطالما كان ماك مشغولاً بحيث لم يرتّب أيّ لقاء معهما.

وعاد يتابع: «أمور كهذه. . . موت الوالدين. . . يجعل المرء يفكر في موته هو. أنا في الثامنة والثلاثين من العمر، يا تارا، وأريد ولداً. أريد أن أكون أباً».

– أصحيح هذا؟

جاءت كلماتها أقرب إلى الهمس. ورآها ماك ترتجف بشكل واضح فقطب حاجبيه وقد عاودته ذكرى هزته هزاً. كان عليه أن يختار كلماته بحذر أكبر.

– عليّ أن أذهب.

وحملت سترتها ووقفت بسرعة: «تذكرت لتوّي أموراً عليّ أن أقوم بها اليوم. لا يمكنني أن أبقى هنا لأتبادل الحديث. يمكنك أن تحصل على الطلاق الذي تريده، يا ماك. أنت تعرف أين أسكن، فأرسل الأوراق إلى هناك وسأوقّعها. حظاً سعيداً».

– تارا!

ولحق بها من المقهى إلى ممشى طويل مزين بتماثيل رخامية نصفية لعظماء من التاريخ. وعندما أدركها، أدارها إليه بسرعة لتواجهه. وعلى الفور تملكه الألم وهو يراها تبكي. كانت دموعها تسيل ببطء على خديها فمسحتها بفروغ صبر وهي تقول له: «ماذا تريد؟ ألم تحصل على ما تريد؟ ماذا تريد أكثر من ذلك؟».

– أريد أن أعرف لماذا تبكين.

وعندما أرادت أن تتخلص من قبضته تشبث بذراعها التي شعر بها فجأة واهنة في يده.

– هل قلت إنك تريد ولداً، وأن تصبح أباً؟

تملكها فجأة التعب والغضب ولم تعد تهتم بأنها على وشك أن تعرّي روحها أمامه لكي يسحقها ويقضي عليها، فرفعت رأسها ونظرت إليه مباشرة: «لقد توسّلت إليك أن تسمح لي بأن أنجب طفلاً. . . هل تتذكر هذا؟».

نعم، إنه يتذكر. تذكر تلك الليلة. . . كان قد دار بينهما جدال مرّ لكن رغبتهما ببعضهما البعض بدت أقوى من الغضب الذي تملكهما.

وألقت زوجته هذه رأسها على صدره ونظرت إليه بعينيها الخضراوين الرائعتين وسألته إن كان يخمّن ما تريده أكثر من أي شيء آخر في العالم.

وفجأة، ضاق صدره حتى لم يعد يستطيع أن يتنفس، وترك ذراعها وقد احمرّ وجهه وعنقه: «نعم، أتذكر».

– عندما افترقنا، وجدت نفسي حاملاً.

طعنته كلماتها في صدره، وشعر بعالمه ينهار ويطبق عليه.

– لم أكن أعلم. . . لماذا لم تخبريني؟

– ولماذا أخبرك؟ لقد رحلت وانتهى زواجنا. على أيّ حال، لم تكن تريد طفلاً، لم تكن مناسباً للأبوّة، أليس هذا ما قلته لي حينذاك؟ كان العمل شغلك الشاغل، كنت مشغولاً بتأسيس العمل. . . لتأمين مستقبلنا. . . هذا ما قلته. أليست هذه أكبر نكتة؟

– تارا، أنا. . .

وأرخى ربطة عنقه. . . وتخلل شعره الأشقر الكث بأصابع مرتجفة: «ماذا حدث؟».

بدا الخوف في عينيه الرائعتين، ففكرت تارا للحظة في أن تخفف عنه الصدمة، لكنها لم تعرف كيف. كانت لتفعل ذلك لو استطاعت

فالقسوة ليست من طبيعتها. عضت شفتها: «ماذا حدث؟ لقد مات الطفل في أحشائي في الشهر السادس».

- يا إلهي!

بدا هتافه كالفحيح. وابتعد وهو يهز رأسه ناظراً إلى الأرض وكأنه لا يريد سماع المزيد أو لا يستطيع سماع المزيد. لكن الحسرة في عينيها الخضراوين جعلته ينظر إليها وهي تقول: «كان الطفل ذكراً. كنّا لنرزق بصبي، يا ماكس. صبي صغير».

ثم ركضت في الممر وصدى كعبي حذائها أشبه بطلقات مدفع.

* * *

- أين سنتناول العشاء الليلة يا حبيبي؟

وضعت إميلي دوڤال اللمسات الأخيرة على زينة وجهها ثم ألقت نظرة على مظهرها في مرآة خزانة الثياب، قبل أن تخرج من حقيبة يدها زجاجة عطر. وبعد أن رشت منها خلف أذنيها وركبتيها وفي باطن معصميها أعادتها إلى الحقيبة ثم ألقت هذه على السرير.

- ماكس؟ لقد طرحت عليك سؤالاً، فهل سمعتني؟

وسارت الفتاة الفرنسية حافية القدمين إلى غرفة الجلوس لتقف فجأة وهي ترى ماك جالساً على الأريكة محنيّ الرأس.

كان قد نزع ربطة عنقه، ويبدو شعره مشعثاً وكأنه كان يتخلله بأصابعه، فيما كسا العبوس ملامحه الرائعة.

وتابعت تقول: «لا تبدو مستعداً للخروج».

لم تستطع إميلي أن تخفي خيبتها. كانت تعشق ارتداء ملابسها والخروج مع صديقها الوسيم إلى العشاء فهما يلفتان الأنظار، بجمالها الأسمر الذي ينسجم مع وسامته الشقراء. مهما كان سبب كآبته هذه، رأت أن من واجبها أن تخرجه منها.

- لا أشعر برغبة في الخروج الليلة.

ورفع بصره إليها أخيراً بنظرة سريعة لا بهجة فيها... وكأن حواسه فقدت القدرة على تقدير جمالها الفرنسي.

- لكنك قلت حين اتصلت...

- انسي ما قلته!

ونهض واقفاً وأخذ يذرع الغرفة ليتوقّف أمام النافذة يحدق منها في أنوار مدينة لندن المتلألئة.

- ماذا جرى، يا حبيبي؟ هل من خطب في العمل؟ أتراه إخفاق في صفقة تجارية؟ لا تأبه يا عزيزي. غداً يوم آخر، وستتحسن الأمور.

وأحس بها تتحرك خلفه، فتملكه غضب لا يعرف سببه فيما بدا عطرها الفرنسي مملاً أو حتى خانقاً. أراد أن يطلب منها أن تتركه وحده، لكنه لن يفعل هذا. لن يلجأ إلى الغضب في حين أن كل ما يحتاجه هو أن يحاسب نفسه، أن يكون صادقاً، ويوقف هذه المهزلة قبل أن تفضي إلى علاقة أخرى فاشلة. منذ اللحظة التي رأى فيها تارا اليوم، وحتى قبل أن تخبره عن الطفل، ابنه، أدرك في أعماقه أنه لا يريد أن يتزوج إميلي... لا يستطيع أن يتزوجها.

- اسمعي. أعرف أننا تحدثنا عن إمكانية أن نتزوج، لكنني عدت وفكرت في الأمر جيداً... ورأيت أن هذا لن ينجح.

- أتعني أن زوجتك لن توافق على الطلاق؟

كان من عادة إميلي أن تلقي اللوم في أيّ قرار يتخذه على شخص آخر.

تنهد ماك واستمر في التحديق إلى الخارج. أخذ يفكر في الطفل... الطفل الذي لم يعرفه قط... وفي تارا وهي تواجه حملاً كانت تظن أنه لا يريده... ثم تخسر الطفل بتلك الطريقة الشنيعة...

وشعر بندم وصل إلى حدود الغثيان. أجاب: «ليس لقراري هذا علاقة بطلاقي. أنا مستعد للقيام بكل ما يلزم لكي أبعد عنك الشعور بالألم

والخيبة، يا إميلي. لكن من الأفضل أن ننهي علاقتنا الآن، بدلاً من أن نصل إلى زواج قائم على الخيال. أنا واثق من أنك إذا راجعت نفسك بصدق، ستجدين أنك لا تريدين أن تتزوجيني أنت أيضاً».

واستدار ببطء ليواجهها.

نظرت إليه بعينيها الواسعتين ووجهها الصغير الظريف وكأنه أصيب فجأة بمرض خبيث: «بالطبع أريد أن أتزوجك. هل أنت مجنون؟ أنا أحبك».

- أحقاً تحبينني؟

احمر وجهها قليلاً، فلاحت على شفتيه ابتسامة صغيرة ساخرة: «أنت تحبين أموالي، يا عزيزتي. تحبين ما يمكنني أن أشتريه لك من ملابس ومجوهرات وعطور. . .».

وعادت إلى ذهنه ذكرى بعيدة كادت تسحقه. رائحة غامضة هي مزيج من عطر نباتات برية، عطر يفقده عقله إغراءً وإثارةً. وقد اشتم هذه الرائحة فلم يستطع أن يتجاهلها حتى وهو يخبرها بأنه يريد الطلاق.

- هذا الزواج لن يناسبنا، نحن الإثنين، فأنت أصغر وأجمل من أن ترتبطي الآن. وأنا. . . حسناً، لطالما شكّل العمل محور حياتي كلها، وأنا لا أنكر أهميته لكنني أصبحت الآن جاهزاً لتكوين أسرة. أريد أن أنجب أولاداً. لم أعد مستعداً لأن أتناول العشاء في المطاعم أو أستقل الطائرة إلى نيويورك أو باريس لأنّ صديقتي خطر لها أن تتسوّق هناك. أريد حياة البيت. حياة بيتية حقيقية.

شهقت الفتاة الفرنسية برقة وجمال وقالت: «إنك تجعلني أبدو سطحية جداً، يا ماكسن. لقد آلمني جداً عدم رغبتك في الزواج مني. سأنجب لك أولاداً. . . الكثير من الأولاد».

لكنه لاحظ، حتى أثناء تلفظها هذه الكلمات، تصلباً في جسمها

الرشيق ما أنبأه بأمور كثيرة. إنها تكره هذه الفكرة. لم يأت على ذكر هذا الأمر من قبل. . . لكن لا بد أنها أدركت الآن أنّ إنهاء هذه العلاقة هو الخيار الصحيح.

وعاد ليقول باسماً وهو يأخذها بين ذراعيه: «إنني أفهمك أكثر مما تظنين».

لكن عناقه لها كان أشبه بعناق أبوي.

- لا تقلقي، يا عزيزتي. لن أتركك ترحلين فارغة اليدين. سأعطيك مبلغاً يكفي ويزيد عن حاجتك حتى تتعرّفي إلى رجل غني آخر فيطلب يدك.

www.elromancia.com روايـة

٢ - عودي إلى حياتي

- تارا؟ ماذا تفعلين جالسة هنا والأنوار كلها مطفأة؟

طرفت تارا بعينيها حين ملأ الضوء غرفة الجلوس بالضوء، وسارعت وهي تشعر بالذنب لتستقيم في جلستها على الأريكة، ثم رسمت ابتسامة متكلفة على وجهها. أيّ صدع في القناع الذي رسمته بعناية على وجهها لئلا تكتشف عمتها مشاعرها الحقيقية، سيجعل هذه الأخيرة تنقض عليها انقضاض الأسد على فريسته، مطالبة بمعرفة ما يمكنها أن تفعل لكي تصلح الأمور. محاولتها المساعدة ستصدر عن نية حسنة طبعاً، لكنها لن تفضي إلى شيء. لا يمكن لعمتها العملية أن تجد حلاً لهذا الوضع.

وأجابتها كاذبة: «لقد غفوت قليلاً. بعد أن أقفلت الأبواب في الطابق السفلي وأعددت العشاء، جئت إلى هنا لأرتاح».

- هل رأيت ماك؟

ألقت عمتها بالمفاتيح على طاولة أثرية صغيرة بجانب الباب ووقفت شابكة ذراعيها على صدرها وقد بدا الجد على وجهها.

فأجابت تارا بحذر: «نعم، رأيته. لماذا أخبرته بمكاني؟».

- لأنه كان ساحراً ومهذباً ومصرّاً على أن يراك. ولأن الأوان، برأيي، حان لكي تتفاهما.. رغم أن معظم اللوم يقع عليه هو.

وخلعت بيث ديلانسي سترتها الكحلية ووضعتها بعناية على مسند مقعد أثري. كانت سيدة طويلة نحيفة حمراء الشعر ذات مزاج ايرلندي

حاد. وهي قد تجاوزت الخمسين من العمر.

- لم أسمع منه خبراً منذ خمس سنوات، يا عمتي. ولا بد أنك أسأت تفسير سبب إصراره على رؤيتي. أما بالنسبة إلى التفاهم، ألا تظنين أن الأوان فات قليلاً على ذلك؟

- التفاهم لا يمكن أن يفوت أوانه، يا عزيزتي. إن وضعك أسوأ من أن تصفه الكلمات. متزوجة وغير متزوجة.. إنكما بحاجة للتفاهم.

تنفست تارا بعمق، ثم اندفعت واقفة: «لقد تفاهمنا. وطلب الطلاق».

بدا الذهول على بيث للحظة وهذه هي المرة الأولى التي تراها فيها تارا بهذا الحال. لم يتمكن أحد من أن يفاجئ عمتها يوماً... وذلك منذ كانت في الثانية من عمرها، بحسب الأقاويل الشائعة في الأسرة. وسألتها وقد عاودها شعورها بالمسؤولية: «وبماذا أجبته؟».

غصت تار بمشاعرها. وتحوّل الخليط المحموم من الأفكار في ذهنها إلى منطق... فحدثت نفسها بأنه من الطبيعي أن يجد ماك امرأة أخرى. لكن شعوراً عنيداً غير منطقي في داخلها بقي متعلقاً بأمل أن يعود ماك إليها يوماً ما.

أما اليوم، فقضي على هذا الأمل بقسوة بالغة، ليصبح أشبه بورقة شجر وحيدة تقف في وجه إعصار.

- وافقت طبعاً.

- لم يبق لديكما ما يقال؟ أأفهم من هذا أنك أخبرته عن الطفل؟

في معرض بحثها عن الحقيقة، لم تكن بيث تتوانى عن طرح أسئلة خشنة.

- لقد تعرف إلى امرأة أخرى ويريد أن يتزوج بها ويؤسس أسرة. أما الجواب عن سؤلك فهو نعم.. لقد أخبرته عن طفلنا. أتمنى لو أنني لم أفعل.

سلخت نظراتها المعذبة عن عمتها ثم سارت إلى الباب. قد يصفها البعض بالجبن، لكنها حالياً لا تستطيع أن تحتمل المزيد من الأسئلة. كل ما تريده هو الاستلقاء طويلاً في حوض حمام معطر حيث تفرغ قلبها بالبكاء على ماك على انفراد.

- ولماذا لا؟ يجب أن يعرف مدى العذاب الذي عرّضك له.

- لقد دمّره هذا يا بيث. رأيت هذا في عينيه. ما الهدف من أن نتألم نحن الإثنين؟

ولأول مرة، لم تجد بيث كلاماً تجيب به على ابنة أخيها فتناولت سترتها ثم مدت يدها تزيح شعر تارا عن عينيها بلطف: «أنت امرأة رائعة الجمال يا حبيبتي، ولا تستحقين أن تكوني تعيسة إلى هذا الحد. في عمرك هذا عليك أن تستمتعي بحياتك، بدلاً من أن تحبسي نفسك في متجر عفن مع عصفور عجوز مثلي؟».

ابتسمت تارا وقد امتلأ قلبها عطفاً على عمتها التي لم تتردد في أن تقدم لها ملجأ عندما هجرها ماك. لم تمنحها عمتها بيتاً تعيش فيه وحسب، بل عملاً أيضاً. وقفت بجانبها في أتعس حالاتها، وأمسكت بيدها في تلك الليلة المريعة في المستشفى... وبكت معها عندما فقدت طفلها الغالي.

- أنت لست عجوزاً، يا بيث، لا من حيث الشكل أو الشخصية. أما بالنسبة إلى الاستمتاع بحياتي، فحسناً...

واحمر وجهها، ونسيت للحظة حزنها العميق وذكرياتها التعيسة التي تفضل عدم التحدث عنها.

- أظنني استمتعت جيداً في السنتين ونصف اللتين أمضيتهما مع ماك.

فقالت العمة باشمئزاز: «هذا الرجل أحمق. قلت هذا حينذاك، وها أنا أقوله الآن. أتساءل عما إذا كان يدرك السبب الذي جعله يهجرك».

أوقف ماك سيارته ليعود إلى دراسة الخريطة، وسره أن يجد نفسه يسير في الطريق الصحيح. كانت بوادر الخريف تبدأ في الظهور، حيث تناثرت أوراق الأشجار تحت الأسيجة، وعبقت في الجوّ روائح خشب يحترق كما انخفضت حرارة الجو. كان الهواء المنعش البرودة يساعده على التفكير بشكل قويم، والله أعلم كم فكر في الليالي الثلاث الماضية.

ومد يده إلى جيب السيارة ليخرج صورة لتارا تقف فيها أمام «برج لندن»، صورة التقطها لها منذ سنوات عند بداية تعارفهما.

كانت تضحك له من خلف عدسة آلة التصوير.

بدت له خلاّبة بشعرها الأشقر الناعم وعينيها الخضراوين المتألقتين وثوبها الصيفي الجميل المحكم على جسمها الرشيق. حينذاك لم يكن ماك يستطيع أن يبعد عينيه عنها. كانت بالغة اللطف وهي تصر على أن تدفع ثمن الغداء بينما يعلمان، هما الإثنين، أنه الأقدر مالياً بينهما. لكنه سرعان ما أدرك أن تارا كريمة ومحبة أكثر من اللزوم.

ونعم ماك بما أسبغته عليه من رعاية وحب، كان أشبه برجل يعيش تحت الأرض حتى عرفها فملأت حياته نوراً وبهجة وضحكاً. اليوم الذي هجرها فيه كان أتعس أيام حياته حتى أخبرته عن الطفل. وكان هذا...

كان الألم وهو يفكر في هذا أشبه بسكين انغرز في صدره. تنفس بعمق شاعراً بدوار، ثم وضع الصورة على مقعد السيارة بجانبه، وتابع رحلته على الطريق الريفي وقد قطب حاجبيه. إذا ما قدّر المسافة بشكل صحيح فسيصل إلى محل تارا في مدينتها الصغيرة في موعد الغداء. سيسأل في فندقه، ويأخذ الارشادات من موظف الاستعلامات ثم يبحث عن متجر بيث ديلانس للتحف. وسواء أعجب هذا تارا أم لم يفعل فإن عليهما أن يتفاهما. كان يرجو فقط ألاّ تصفق هي أو عمتها

الباب في وجهه وتحرماه من هذه الفرصة.

– يمكنك أن تلح بالسؤال كما تريد يا ماك سيمونسن، لكنني لن أخبرك بمكان تارا. لقد أخطأت حين فعلت ذلك منذ أيام قليلة إذ أصبحت فتاة مختلفة منذ اجتمعتما مرة أخرى. لقد استغرق نسيانها لك وقتاً طويلاً... وفقدانها الطفل.

– اللعنة يا بيث! لماذا لم يخبرني أحد بحملها؟ يحق لي أن أعلم بصفتي زوجها؟

من حسن الحظ أن المتجر كان خالياً من الزبائن لأن طبع ماك على وشك الانفجار. إنه يتقبّل فكرة أنه أخطأ فهو ليس من الغطرسة بحيث يلوم تارا لكتمانها خبر حملها عنه بعد أن هجرها وأخبرها أنه ليس مستعداً بعد للأبوّة. لكنه يحمّل أسرتها مسؤولية عدم الاتصال به بالنيابة عنها... لاسيّما في ساعة الضيق.

تصلّبت بيث في وقفتها وشبكت ذراعيها على صدرها وهي تواجه هذا الرجل الرائع البنية ببذلته البالغة الأناقة وعينيه الزرقاوين القادرتين على أن تديرا رأس أية امرأة مهما بلغت مناعتها.

لكن بيث تفتخر بأنها أقوى من ذلك، فسعادة ابنة أخيها الغالية تأتي في المرتبة الأولى. ومهما ألحّ أو توسّل فلن يزعزع قناعتها بأنه من الأفضل لتارا حالياً، أن تبقى بعيدة عن هذا الرجل.

– دعني أذكّرك بأنك تخليت عن كافة حقوقك الزوجية عندما هجرت ابنة أخي بكل برودة وعدم إحساس وكأنها لا تعني شيئاً بالنسبة إليك؟ لقد فضّلت عملك وطموحك عليها، وهذه هي الحقيقة. من المؤسف أنك خدعت تارا منذ البداية وتزوجتها.

قطب حاجبيه: «خدعتها؟».

فأجابت بغضب: «نعم، خدعتها! فأنت لم تكن تريد زوجة. لا بد أنك كنت تعلم أنك لا تريد زواجاً حقيقاً ما دام عملك يأتي أولاً. لقد

خدعت تارا حين أقنعتها بأنك تفعل هذا من أجلها، ومن طبيعتها أن تثق بالناس يا ماك، فصدقت كل كلمة قلتها لها رغم أنك خذلتها مرات عديدة. صدقني، كانت تبكي حين تتصل بي هاتفياً. وستبقى دوماً تلتمس لك الأعذار، إذ كانت تقول لي: سيأتي يوم لا يضطر فيه إلى العمل بهذا القدر. سيأتي يوم أذهب فيه معه في إجازة حقيقية إلى مكان رائع. كانت تعبد الأرض التي تسير عليها، فماذا فعلت بها؟ رحلت حتى من دون أن تمنحها فرصة للصلح أو التسوية. أنا لست على علم بكل ما حدث بينكما، لكن ما أعرفه هو أنك حطمت قلبها. وعندما فقدت طفلها الذي أحبته وطال شوقها إليه... عدت فحطمته مرة أخرى. لذا، أظن أنه من الأفضل للجميع أن ترحل من جديد. على أيّ حال، هذا هو ما تحسنه أكثر من أي شيء آخر، أليس كذلك؟»

حدث نفسه بأنه يستحق هذا الكلام اللاذع من بيث لكن ورغم هذا تملكه الغضب لأنها صوّرت هجره لتارا كتصرّف متعمد منه ومخطط له بهدوء، فيما الحقيقة خلاف كذلك. لقد عذبه قراره هذا أياماً وأياماً، غير أنه لم يستطع أن يحتمل رؤية زوجته الجميلة تبدو تعيسة إلى ذلك الحد. حينذاك، لم يكن يعرف كيف يصلح الأمور بينهما.

بدت رغباتهما مختلفة... وأخذت الهوة بينهما تتسع. فمتطلبات عمله كانت تشغل معظم وقته... وكانت كثيرة جداً... وهذا أمر يندم عليه الآن بمرارة. كان عليه أن يهتم أكثر بزوجته، وما كان له أن يتركها وحدها معظم الوقت. كان يخدع نفسه حين صدّق أنها ستنتظر حتى يؤمّن المستقبل الذي يريده لهما. وخدع نفسه حين ظنّ أنها ستفهم لما لم تكن فكرة إنجاب أولاد فكرة عملية حينذاك. ووعد نفسه بأن يعوضها عن ذلك، يوماً ما. يوماً ما سيعطيها كل ما تريده... حسناً، لقد جمع ثروته لكنه خسر الزوجة التي يحب... خسرها حتى قبل أن يخرج من الباب من دون أن ينظر خلفه.

قال وهو يتخلل شعره بأصابعه: «الزواج لا يأتي بعد دورة تدريبية. وأنا أعلم أنني أفسدت الأمور. المشكلة هي... أنّ الاتصال انقطع بيننا».

وقطب فيما ارتسم الإحساس بالذنب على وجهه ما جعل بيث تشعر بشيء من الحنان نحوه، بينما تابع يقول: «لقد توقفت عن الإصغاء إليها. ومن العجيب أن تارا بقيت بجانبي. أما بالنسبة إلى الطفل...».

والتمع الألم في عينيه: «هل ظننت أنني كنت سأهجرها لو عرفت أنها حامل؟».

تأملت بيث خاتميها الذهبيين وقالت: «خافت أن تظنها تخدعك لكي تبقى. لست أدري يا ماك. معرفتي بتارا تجعلني أقول إنّ هذا ما خطر لها. أخبرتني أنك تريد الطلاق لتتزوج مرة أخرى؟»

- لا. لقد قطعت علاقتي بإميلي.

- أحقاً؟

- لم تكن مناسبة لي.

- لماذا جئت إلى هنا، يا ماك؟ ماذا تريد من تارا؟

- هل لديها صديق حالياً؟

لم يستطع أن يمنع نفسه من طرح هذا السؤال الذي بقي يزعجه منذ رآها في المتحف.

لا يمكن لفتاة رائعة الجمال مثل تارا أن تبقى وحيدة خمس سنوات. لكن فكرة أن لديها صديق تجعله يشعر بالغثيان من الغيرة.

- لطالما وقف الشبان عند بابها يدعونها للخروج معهم. ما رأيك يا ماك؟

خشي أن يخبرها الحقيقة. ثمة الكثير مما لا يعرفه عن الفتاة التي تزوجها، الكثير مما يقف بينهما. يمكنه فقط أن يخمن أي نوع من الناس هي الآن. كل ما عليه أنه يفعله هو أن يحافظ على الأمل. وبانت

غمازة عند زاوية فمه الجميل، بعد أن سمح لنفسه بأن يبتسم ويقول: «أظن أنّ رجال هذه المدينة لابد أن يكونوا عمياً إذا لم يهتموا بتارا. لكنك لم تجيبي عن سؤالي، يا بيث. هل تربطها علاقة جدية برجل ما؟»

- هل هذا سبب وجودك هنا، يا ماك؟ أن تحاول استعادتها؟

وأمالت رأسها جانباً، وهي تفكر في المعركة الصامتة التي تدور خلف تينك العينين الجذابتين.

وضع يده على الطاولة المصقولة الفيكتورية الطراز أمام مكتب بيث وقال وهو ينظر من حوله: «لديك أشياء جميلة هنا».

لقد حيّره كم الأشياء الأثرية التي يعجّ بها هذا المكان الصغير نسبياً. وخطر له أنّ تارا تعمل هنا، في هذا المكان الضيق، يوماً بعد يوم... فيما يفترض بها أن ترقص، أو أن تعلّم الرقص في مدرستها الخاصة، فهذا كان حلمها في يوم من الأيام. وكان قد عاهد نفسه سراً على أن يساعدها على تحقيق ذلك الحلم. وقطّب جبينه وهو يتذكر هذا ثم قال: «إننا بحاجة إلى التفاهم. هذا كل ما أريده الآن. متى ستعود؟».

فتحت بيث المفكرة الكبيرة الحمراء على مكتبها، لكنها تعمدت أن تبدو نظراتها غامضة: «لن تعود قبل هذا المساء. إنها تمضي النهار في الخارج، ولست واثقة من موعد عودتها. هل يمكنك أن تعود في يوم آخر؟».

- كلا.

جاء رده حازماً، فما يريد أن يقوله لتارا لا يمكنه الانتظار، لا بل تأخر عن موعده خمس سنوات.

- هنا أقيم.

وسحب من جيبه بطاقة وضعها على المفكرة: «لقد أخذت إجازة

لشهر كامل ولست مستعجلاً للرجوع إلى لندن. أرجوك أن تخبري تارا أنني جئت إلى هنا وأريد أن أراها. هل ستفعلين هذا من أجلي، يا بيث؟».

بدا جاداً ومخلصاً ما جعلها تلين. ودعت الله أن يجعلها تتصرف بشكل صائب.

- سأخبرها يا ماك. لكنني لا أستطيع أن أعدك بأن تتصل بك. ربما عليك أن تعتاد على فكرة أنها قد لا ترغب في أن تتحدث إليك مجدداً.

- أخبريها فقط بما قلته لك. هذا كل ما أطلبه. سأراك في ما بعد يا بيث... وشكراً.

أغلق الباب خلفه ثم سار في الشارع بخطوات واسعة. التقطت بيث البطاقة المذهبة التي تركها على مكتبها، بطاقة تحمل اسم أفضل فندق في المدينة، فضمتها إلى صدرها متأملة للحظة، ثم تنهدت: «آه، يا تارا».

* * *

- كان فيلماً رائعاً، أليس كذلك؟

كرهت أن تخمد حماسته، رغم أن أفلام العنف لم تكن المفضلة لديها، فابتسمت للشاب الوسيم الذي اصطحبها إلى السينما. كان راج سينغ الابن المدلل لسانجا وبيني، مالكي المبنى حيث وكالتها لبيع الصحف المحلية. ومن حين إلى آخر، كانت تارا تخرج معه رغم أنهما متفقان على أن تبقى علاقتهما ضمن حدود الصداقة. بعد ماك، لم تقم تارا أي علاقة حميمة، ويُفترض براج أن يتزوج بفتاة اختارها والداه له. سيتم الزواج في عيد الميلاد بعد ثلاثة أشهر حيث ستسافر الأسرة كلها إلى «كيرالا» في الهند للاحتفال بالزواج على الطريقة الهندية التقليدية. كان تأثرها بالغاً وهي ترى هذا الشاب الذي نشأ في الغرب يحترم رغبة أسرته التقليدية.

قالت تغيظه مازحة: «إنه ليس كفيلم «ذهب مع الريح» لكن لا بأس به».

فحك راج رأسه بارتباك: «ذهب مع الريح؟»

فقالت باسمة: «كان فيلم أمي المفضل. وقد أطلقوا عليّ اسم المزرعة والبيت المذكورين في الفيلم».

- هل كان اسم منزل؟

- إنس ذلك، ودعنا نذهب لنأكل البيتزا.

- لماذا تختارين أنت ما نأكل؟ أنا أفضّل الهمبرغر.

فصاحت به من فوق كتفها: «لكنني سمحت لك بأن تختار الفيلم، أليس كذلك؟».

- إنك امرأة مستبدّة. أتعلمين ذلك؟

وركض ليلحق بتلك المرأة الرشيقة الشقراء التي تشق طريقها بين الجمهور المحتشد في ساحة «ليستر سكوير»، راجياً من الله أن تكون طباع عروسه كطباع تارا المشتعلة حيوية. آخر ما يريده هو زهرة صغيرة مطيعة سهلة الانقياد، لا رأي لها سوى رأي زوجها.

قال بحزم: «بيتزا ومن ثم إلى البيت. وعدت عمتك ألاّ أجعلك تتأخرين».

وكان يدرك أن تارا ستتجاهل لهجته الآمرة هذه.

جمدت تارا مكانها، ثم استدارت إليه واضعة يديها على خاصرتيها: «حسناً، أنت تزداد حماقة، يا راج سينغ، لأنني أريد أن أرقص».

- رقص؟

- نعم.

ورغم أنها كانت مبتسمة ومصممة على الإستمتاع بوقتها، إلاّ أنّ قلبها كان يتألم لأن ماك لم يأخذها قط إلى نادٍ ليلي للرقص.

– أظن أنّ هذا كل شيء تقريباً. إذا خطر لك شيء آخر، فاتصل بي. لديك رقمي.

أنهى ماك عمله، ووضع السماعة مكانها ثم تمدّد على سريره، بعد أن سوّى الوسائد خلفه وتناول كتابه ليقرأ.

وبعد خمس دقائق، وبعد أن قرأ الجملة نفسها عشر مرات تقريباً، ألقى بالكتاب جانباً ثم أخذ يتخلل شعره الكث بأصابعه بسخط بالغ.

لم يكن معتاداً على الجلوس من دون عمل... كما لم يعتد أن يرتاح ويستمتع بوقته. لقد اعتاد أن يعمل من اثنتي عشرة إلى أربع عشرة ساعة يومياً، ويبدو أن جسده فقد قدرته على الاسترخاء. نهض وسار إلى النافذة يتأمل الشارع الخالي من المارة. ذكّرته واجهات المتاجر بمدى تعلّق هذه المدينة الصغيرة بالتراث، وكم تبدو جذابة للسيّاح.

لكن الوقت كان عصراً وهادئاً... هادئاً أكثر من اللزوم. كيف تحتمل تارا هذا؟ ألم تفتقد لندن؟ غالباً ما تكون العاصمة مزعجة بضجيجها وازدحامها وتلوّثها، لكن ماك اعترف بأنه يحب ذلك، فهو يفتقدها عندما يغادرها. في الأيام الأولى لزواجه بتارا، كانت تتحدث دوماً عن رغبتها في الانتقال إلى الريف، لكن ماك كان يرفض، واعداً بان يناقشا هذا الأمر ذات يوم عندما يخف انشغاله، وتقلّ متطلّبات عمله الذي أخذ يزدهر. كان يقول لها إنه سيعيّن نائباً له ليدير العمل، وبالتالي لا يضطر للسكن بجانب الوكالة. وأقرّ بأنّ طموحه كان أشبه بالمخدرات، إذ أعماه عن حقيقة أن لزوجته احتياجاتها الخاصة هي أيضاً. احتياجات لم يكن يلبيها غالباً. وأغمض عينيه على هذه الذكرى، ومع قدوم الليل إذا برنين الهاتف يجعله يجفل.

– نعم؟

– سيد سيمونسين. السيدة سيمونسين هنا في الردهة تريد رؤيتك.

خفق قلبه بعنف، وبقي لحظة لا يعرف ما يقول. كان قد خطر له

أنها لا تريد الاتصال به، وبقي طيلة النهار يقاوم رغبته في العودة إلى المتجر ليرى إن كانت تارا تتعمد تجنبه، علماً أنّ هذا لا يعني أنه سيدع عقبة كهذه تقف في طريقه.

– أخبريها أنني سأنزل حالاً.

وفيما هو ينزل، أصلح ربطة عنقه، ولامس ذقنه وهو يفكر في أن احتفاظ تارا باسمه دليل حسن، إذ أن بإمكانها أن تعود إلى شهرتها السابقة بسهولة، فمن كان ليلومها في ظروفها هذه؟

لم يستطع أن ينكر البهجة التي سرت في كيانه وهو يراها جالسة في الردهة على أريكة بنية اللون. كانت ترتدي جينزاً أزرق وقميصاً أبيض، فيما وضعت سترتها على ركبتيها. بدت منتعشة الوجه، جميلة. وعندما نظرت نحوه بعينيها الحذرتين، شعر ماك برغبة لا تقاوم في أن يجلس معها على انفراد...

عندما وصل إليها، هبت واقفة فأحاطت به رائحة عطرها، مثيرة لديه ذكريات حميمة.

– أخبرتني عمتي عنك. لا أستطيع أن أبقى طويلاً فأنا أساعد بيت في إجراء جردة. ما الموضوع يا ماك؟ ما الأمر المستعجل الذي لم تستطع أن تحدثني به هاتفياً؟

اعتدل في جلسته، وقال باتزان: «قررت أنني لا أريد الطلاق».

اتسعت عيناها وبدت الخشية فيهما: «لا تريد الطلاق؟ ماذا... ماذا تريد إذن؟».

– أريدك أنت يا تارا. أريدك أن تعودي إلى حياتي. أريد أن تكون لنا حياة زوجية حقيقية.

٣ - إلى غير رجعة

سمعت تارا ما قاله ماك، لكنها تساءلت بجنون عما إذا كانت قد تخيلت ذلك. في الطريق إلى الفندق حيث ينزل، بلغ توتر أعصابها حدّاً مخيفاً، كما تملكها الذعر والإثارة لقرب رؤيتها له. واعترفت في سرّها بأن لقاءهما في المتحف أثار الكثير من الآمال والأحلام التي كان عليها أن تتخلص منها منذ زمن طويل. لاسيّما بعد ما حدث. . . أما الآن، وفيما هي تحدق إلى العينين الزرقاوين اللتين لا يمكن سبر غورهما، واللتين بدا واضحاً فيهما عدم نيته في أن يدعها تفلت من يده. . . ضمت سترتها إلى صدرها وقد تذكرت أن المشاعر الوحيدة التي ينبغي أن تكنها نحوه هي العداء.

- هل هذه مزحة سخيفة؟ إذا كان الأمر كذلك فهي لم تعجبني. أخبرتني أنك وجدت امرأة، وأنك تريد الطلاق. . . وإذا بك. . . ما الذي يجري يا ماك؟

حدث نفسه بألاّ ينزعج، وألاّ يكون خشناً، وإلا فقد يخيفها فتذهب إلى غير رجعة. الآن، وبعد أن رآها مرة أخرى، أدرك أن ما يفعله هو الصواب. وصدمته فكرة أنه عاش طيلة تلك السنوات من دونها. لعله لم يكن يعيش فعلاً بل كان موجوداً فقط. كيف أمكنه أن يفكر حتى للحظة في الزواج من امرأة مثل إميلي، فهي مهووسة بمظهرها. . . وباردة للغاية، ومتحكمة بمشاعرها. ويكفي أن ينظر ماك إلى اللون الوردي على وجنتي تارا ليتذكر كما كانت مشبوبة العواطف.

- أنا لا أمزح يا تارا، لقد انفصلنا أنا وإميلي.

شعرت بالغيرة كطعنة سكين حين سمعته يذكر اسم صديقته. فقبل أن تعرف اسمها كانت هذه مجرد خيال ضبابي الشكل، لكن اسمها «إميلي» جعلها من لحم ودم. . . وآلمها هذا.

- وماذا أكون أنا؟ ميناء في وقت العاصفة؟

- كلا بالطبع.

بدا وكأنه جُرح. سخرت بغضب لما بدا عليه من ألم، في حين لم يظهر أي اهتمام بما سببّه لها من آلام.

وتابع ماك: «لقد عشنا معاً منسجمين ذات يوم. فهل من الجنون أن نتصور إمكانية انسجامنا مرة أخرى؟».

- هل أنت جاد؟

وتسارعت خفقات قلبها. لم يخطر لها أن يكون الصلح هو سبب رغبته في الاجتماع بها. . . فهذا آخر ما تصورته في هذا العالم. وتساءلت عما يكمن خلف ذلك، ولماذا يعذبها بهذا الشكل؟

- أنا جاد تماماً وقد أخذت إجازة مدة شهر من العمل.

- حسناً، لابد أن هذه هي المرة الأولى. هل أنت واثق من أن بإمكانهم أن يستغنوا عنك، يا ماك؟ لطالما كنت أظنك ضرورياً جداً.

ولدهشتها، لاحت على فمه ابتسامة عريضة عكست السخرية من الذات: «وهذا ما كنت أظنه أنا أيضاً، لكن يبدو أن هذا ليس الواقع. من حسن الحظ أن لديّ بعض الموظفين الأكفاء الذين يمكنني أن أثق بهم. لست قلقاً لغيابي شهراً».

- وما الذي ستفعله بعيداً عن العمل يا ماك؟ قد ينفعك بعض العلاج.

- علاج؟

- نعم. علاج من الإدمان على العمل، أم أنك ما زلت تنكر ذلك؟

أمكنه أن يلمس الألم في صوتها، والغضب خلف الإتهام المرّ، فشعر بالندم لما سببّه لها من ألم عندما كان يقدّم التزاماته المهنية على واجباته الزوجية. تنهد بعمق، ثم نظر إلى مكتب الاستقبال حيث انصب اهتمام السمراء الأنيقة التي تجلس خلفه عليهما.

- لا يمكننا أن نتحدث هنا. هل يمكننا أن نذهب إلى مكان ما؟

قالت والازدراء في عينيها: «أين تقترح؟ إلى متجر عمتي بيث؟ أو ربما غرفتك في الفندق؟»

وارتدت سترتها وهي تعض شفتها لتمنعها من الارتجاف قبل أن تضيف: «أنا واثقة من أنك ستصلح الأمور مع صديقتك، فلطالما كنت ماهراً مع النساء، أليس كذلك يا ماك؟».

- ماذا يعني هذا بحق جهنم؟

- لعلك لم تكن دوماً في العمل عندما كنت تتخذه عذراً للتغيّب، ولعلك ذهبت إلى امرأة أخرى عندما هجرتني تلك الليلة...

تملك ماك الغضب، فهو لم يخدع تارا قط، كما لم يشعر يوماً برغبة في ذلك. كانت النساء يتهافتن عليه، وهو لم يكن أعمى، لكنه لم يتجاوب مع أيّ امرأة. وعندما كان يقول لتارا إنه سيتأخر في عمله، هذا ما كان يفعله تماماً.

- أولاً، أنت تتهمينني بأنني مدمن عمل... وهذا فيه وجهة نظر ولعلها صحيحة، لكنك تظلمينني جداً باتهامك لي بإقامة علاقات مع نساء أخريات. لِمَ أفعل هذا فيما أنت كنت أكثر من كافية لي، يا تارا؟ لا تتظاهري بأنك نسيت...

وأرفق كلماته هذه بنظرة ملتهبة ما جعل تارا تشعر بسيل من الرغبة هو من القوة بحيث وهنت ساقاها تحتها.

قالت تجيبه: «حسناً، لقد تغيرت. لم يعد هذا يهمني».

واحمر وجهها بعنف، وتمنت لو تنشق الأرض وتبتلعها عندما

لاحت ابتسامة عريضة ذات معنى على وجهه فيما تابعت تقول بعنف: «لديّ أمور أخرى أهم تشغل بالي. لدي وظيفة بدوام كامل عند عمتي بيث. لدي...».

- لماذا تركت تعليم الرقص؟

شبكت ذراعيها على صدرها وقالت غاضبة: «هذا ليس من شأنك! أنا حرة الآن. هل نسيت؟ ليس عليّ أن أفسر لك تصرفاتي. إنني، بعد خمس سنوات...».

قاطعها بصوت جاد للغاية: «أنت ما زلت زوجتي».

وشعرت تارا برجفة بسيطة في عمودها الفقري.

- حسناً، يمكننا معالجة هذا الأمر بسرعة. لديك بعض الوقت فلما لا نذهب إلى محام ونوقع أوراق الطلاق؟ إلا إذا سبق وقمت بذلك فعلاً.

- لقد قلت لك من قبل يا تارا، وما زلت على قراري، وهو أنني لا أريد أن أطلّق. أريد أن نتصالح. أعلم أنك بحاجة إلى بعض الوقت لكي تفكري في رغباتي هذه. لكن وكما سبق وقلت أنت، لدي الكثير من وقت الفراغ حالياً، وبإمكاني أن أمنحك اهتمامي التام، فلِمَ لا نبدأ بتناول العشاء معاً الليلة؟

- لا يمكنني ذلك فلدي موعد.

وأرجعت رأسها إلى الخلف وعيناها تتألقان انتصاراً.

- موعد؟

- مع رجل.

- أتخرجين مع رجل؟

والتوى جانب وجهه الرائع الجمال.

- هل من الصعب أن تصدق هذا؟

نظر ماك إلى ساعته ثم ابتسم بتسلية: «لن أردّ على سؤالك هنا.

www.elromancia.com

الغي الموعد وأخبري صديقك أنك تتناولين العشاء مع زوجك».

- لن أفعل هذا!

- اعطيني إذن رقم هاتفه لأفعل هذا بالنيابة عنك.

- لا تكن سخيفاً.

- سأتحدث إذن إلى بيث، فقد تفعل هذا من أجلي.

- لن تفعل بيث هذا. اسمع يا ماك، هذا كله جنون! إننا منفصلان منذ فترة طويلة. ونحن لم نعد كما كنا عندما انفصلنا...

تنفست بعمق شاعرة بالعذاب، وراحت تنظر إلى السجادة الخضراء تحت أقدامهما بيأس. وعندما تمالكت نفسها، رفعت رأسها ونظرت إليه متوسلة: «عد إلى لندن واتصل بإميلي. صدقني يا ماك أن الصلح بيننا لن ينجح».

- ماذا لو قلت إنني أريد أن ننجب معاً طفلاً آخر؟

وبشهقة عدم تصديق، استدارت تارا وخرجت من الفندق.

استقل ماك سيارته وانطلق بها. لم يعرف إلى أين يذهب كما لم يهتم لذلك، جلّ ما يعرفه هو أنه بحاجة لأن يتنفس، لأن يفكر، لأن ينظم أفكاره بشأن تارا. ما كان ينبغي له أن يأتي على ذكر الطفل. بدا واضحاً له أنه تطرّق إلى الموضوع كما ينطح الثور البوابة، فأخذها على حين غرّة ما جعلها تهرب وهو لا يلومها. لقد تصرف كغبي أناني ولعلها تتساءل الآن أي لعبة يلعبها. وقال بصوت مرتفع وهو يضغط زراً ليسمع بعض الموسيقى: «لا بأس».

وتناهت إليه كلمات الأغنية: (أريدها أن تعود إلي، ولا يهمني ما عليّ أن أفعله في سبيل ذلك. أريد أن أنجب أولاداً... الكثير منهم. أريد أن نعيش معاً بسعادة إلى آخر الحياة وفي أي مكان تختاره هي. أريد أن...).

علّق على كلمات الأغنية بسخرية مرة، بينما تابع المغني: (فات

الأوان... يا طفلتي...)

خفف ماك من سرعة السيارة وهو يشتم بصوت خافت خشن.

أسكت الأغنية المؤلمة، ثم أخذ يحدق إلى مناظر الريف بعدم بهجة. وخطر له أنه يعرف كيف يعالج الأمور في المدينة أما الريف بهدوئه البالغ وخضرته الدائمة فيجعله انطوائياً. لا يمكنه أن يقول صادقاً إنّ ما اكتشفه عن نفسه أعجبه. فهو في الثامنة والثلاثين من عمره، وصاحب إحدى أكثر وكالات الإعلان نجاحاً في لندن... لكن هنا تتوقف قصة النجاح. لقد فشل في النواحي الأخرى كلها، فهو مدمن عمل عاش حياته حتى الآن من أجل العمل وحده. كما هجر زوجته بعد ثلاث سنوات من العيش المشترك لأنه فضّل الطموح على الحب، وبقي خمس سنوات من دون أن يتصل بها لأنه يعلم أن هجره لها حين كانت متلهفة إلى إصلاح الأمور وفيما كانت بأمس الحاجة إليه، أمر لا يغتفر. واكتشاف أمر الطفل زاد الطين بلّة...

وبعد نصف ساعة، وبعد أن أرهقه التفكير، أوقف سيارته في مكان وصفه الدليل بأنه رائع بجماله الطبيعي، وترجّل منها وأخذ يسير. أحاط به بحر أخضر لا حدود له. امتدت إلى يساره غابات كثيفة تعلوها الشمس التي بدت وكأنها تحرسها من بعيد، أما السماء الزرقاء فبدت ممتدة إلى حد لم يعرفه إنسان من قبل. وتابع سيره، فراح يغوص في الأعشاب بحذائه الإيطالي الثمين، بينما الشمس تصب أشعتها على ظهره، وما لبث أن تملكته الدهشة عندما شعر بنوع من السكينة تحلّ عليه. خلع سترته وربطة عنقه واستمر في السير من دون أن ينظر إلى الخلف.

- هل من رسالة لي؟

رفعت الفتاة السوداء الشعر نظرها إلى الرجل الأشقر الرائع الذي دخل من باب هذا الفندق الصغير، وكادت تختنق بقطعة البسكويت التي

في فمها. احمر وجهها ارتباكاً وطرقت بعينيها الواسعتين لنظرة التسلية البادية في عيني ماك الزرقاوين.

– آسفة يا سيدي، كنت أتناول الشاي. هل استمتعت بالهواء الطلق؟

كان قميصه الأبيض مفتوحاً بإهمال، وسترته ملقاة على ذراعه، بينما علقت ورقتا نبات بشعره الأشعث.

قال باسماً: «المكان هنا رائع حقاً».

تنحنحت إيلين: «نحن نستقبل الكثير من الزوار الذين يأتون ملتمسين الهدوء وسكينة النفس».

– يمكنني أن أرى السبب. إذن، هل من رسائل لي؟

وتحرك ليصعد السلم، وإذا بالفتاة تقول له وهي تستدير إلى صف من الصناديق الصغيرة لتسحب قطعة ورق مطوية من إحداها: «إنها من سيدة تدعى تارا. أرجو أن تتمكن من قراءة خطي. إذا لم تستطع، فسأقرأ لك ما قالته».

حدق إلى قطعة الورقة، وشعر بالأمل يملأ صدره بشكل جنوني.

(ماك. إذا كانت دعوتك لي على العشاء ما زالت قائمة، فسأقابلك في فندقك عند الساعة الثامنة. تارا).

وضع الورقة في جيبه وهو يشكر إيلين بابتسامة أخرى رائعة ثم صعد إلى غرفته بخفة وسعادة.

سألتها بيث وهي تطل من الباب بعد الساعة السابعة ذلك المساء: «لماذا هذا كله؟ هل أنت ذاهبة إلى مكان غير عادي؟»

كانت تارا تقف أمام خزانة ثيابها، وقد ارتدت أحد تلك الأثواب الصيفية الواسعة ما جعلها تبدو وكأنها خرجت لتوها من صفحات رواية شكسبير «حلم ليلة الصيف». كان شعرها الأشقر الناعم مغسولاً ومجففاً، ووجهها الجميل متوهجاً من تأثير حرارة مجفف الشعر.

– سأقابل ماك لتناول العشاء.

وخطر لها أنه من الأفضل ألاّ تستدير حالياً لئلا ترى عمتها التأثر الذي بدا على وجهها، وأخذت تحدّق، من دون أن ترى، في محتويات خزانتها، غير واثقة من الثوب الذي لبسته.

– أحقاً؟

– نعم.

– ما الذي حدث؟ ظننتك أقسمت على ألاّ تريه مرة أخرى أبداً عندما دخلت المتجر ركضاً عصر هذا اليوم؟ هل جعلك تبكين؟

استدارت تارا ببطء لتواجه عمتها التي بدا الذهول والقلق على وجهها، وتنهدت. كان ذهولها أكبر مما لو سقطت على رأسها من مكان مرتفع.

«أريد أن نحاول إنجاب طفل آخر».

كان ماك قد قال هذا ببرودة بالغة، على عكسها هي... شعرت وكأن قلبها سيقفز من صدرها.

– في الحقيقة، لا أدري ما الذي يجري بيني وبين ماك. ثمة أمور مشتركة بيننا لم ننته بعد من مناقشتها، ولهذا السبب سنتناول العشاء معاً الليلة.

– هل هذه الأمور التي لم تناقشاها تتعلق بالطلاق؟

عادت تارا تتفحص محتويات خزانتها، ثم تنهدت مرة أخرى: «ربما».

– ربما؟

– قولي ما يجول في خاطرك يا بيث. أنت تظنينني حمقاء لأني وافقت على رؤيته مرة أخرى. تظنين أن لا خير يُرجى من هذا، وأنه سيحطم قلبي. حسناً، اعلمي أنّ قلبي لم يشف أصلاً، وهو آمن الآن من الألم والحزن.

واغرورقت عيناها بالدموع فمسحتها بيدها. لعله من الخطأ أن ترى ماك مرة أخرى لكن عليها أن تعلم ماذا يجري معه، ولماذا اعترف لها بأنه يريد أن يستأنف الحياة معها من حيث افترقا؟ ولماذا قال ما قاله عن إنجاب طفل آخر؟ وإلى أن تعرف هذا كله، لن يعرف قلبها الراحة.

– لقد سبق لهذا الرجل أن سبب لك من الألم أكثر مما يمكنك احتماله. عندما رحل تخليت عن كل شيء، عن تعليم الرقص، عن الحياة الاجتماعيه، عن العيش. كل التفاصيل اليومية التي كانت تبهجك. تخليت عن هذا كله بسبب ماك، لأن قلبك تحطم وكرامتك جُرحت. أنا لا أقول إنه رجل سيء. فهو ليس كذلك، لكنه رجل مدمن على العمل، ومثل هذا الرجل لا يستطيع أن ينجح في علاقاته. فليس لديه الوقت الكافي لكي يجعلها تنجح. اذهبي وتناولي العشاء معه. قولي له إنك تريدين الطلاق وتريدينه الآن، ثم دعيه يذهب وتابعي حياتك! وإذا كان هذا يعني أن تغادري هذا المدينة لتعودي إلى تعليم الرقص، فافعلي هذا.

توهج وجهها من فيض المشاعر ثم استدارت وخرجت من الغرفة.

أخذ قلب تارا يخفق بعنف وهي تنهار على السرير وتقرّ بصمت بصحة ما قاله عمتها. إنها تثق ببيث منذ ماتت أمها منذ عشر سنوات وتزوج أبوها مرة أخرى ورحل.

حينذاك، لعبت بيث دور الأم والأخت والصديقة في حياتها. كان عطف بيث عليها شديداً، وهذا ما لا يمكنها أن تقوله عن ماك.

* * *

لم تأكل شيئاً. ورآها ماك تعبث بالطعام، فانحنى وأمسك بيدها التي تحمل الشوكة: «أظن أنّ عليك أن تضعي الطعام على الشوكة ثم تضعيه في فمك».

أجفلت للمسته، ولنظرة عينيه في عينيها. فتحت فمها لتجيبه، فوضع

الطعام على الشوكة ورفعه إلى فمها. وعندما أخذت تمضغ بعجز، قال برقة: «ها قد أكلتها. والآن أخبريني لماذا لا تأكلين؟ أرجو ألاّ تقولي إنك تتبعين حمية للنحافة».

أجفلت لتعنيفه هذا ومنعها الألم في حلقها من أن تبتلع الطعام الذي في فمها. نظرت حولها إلى الزبائن الذين كانوا يأكلون في هذا المطعم الفرنسي الناعم الإضاءة، وتمنت لو بإمكانها أن تشعر بالسعادة وراحة البال نفسهما. كانوا يتحدثون ويضحكون، وبدا واضحاً أنهم خرجوا للاستمتاع. كانوا بعيدين عن التوجس والتوتر اللذين تملكانها وهي تجلس قبالة ماك.

– أنا لا أتبع حمية. إن الطعام لذيذ، وأنا فقط. . .

– ماذا؟

– لا أستطيع أن آكل عندما أكون غير مسترخية. عندما أكون قلقة أو متوترة.

– أتذكر هذا.

ومسح فمه بالفوطة ثم استند إلى الخلف في كرسيه ومضى يتأملها: «آسف لأنني أسبب لك عدم الاسترخاء. لكنني لا ألهو هنا يا تارا. فأنا أريد أن نعود إلى بعضنا البعض مرة أخرى، وأن تنجح علاقتنا هذه المرة».

– تجعل الأمر يبدو وكأنه مشروع يدور في ذهنك. هل هذا نوع تقرّبك إليّ، يا ماك؟ أن تعاملني وكأنني أحد موظفيك؟ ما الذي ستفعله؟ تخصني بقدر معين من الوقت لكي تصل إلى هدفك؟

وأزاحت صحنها بمرارة، ورفعت كأس الماء إلى شفتيها وشربت بلهفة. لماذا ينظر إليها بهذه البرودة اللعينة والغطرسة، بينما تستعر المشاعر في أحشائها؟ هل يظنها سترحب بعودته بعد كل ما فعله بها؟ وضاقت نظراتها وهي تعبث بلؤلؤة معلقة في عنقها، وتقول: «من

المستحيل أن نعود إلى بعضنا البعض يا ماك. لقد هجرتني. هل نسيت؟ منذ يومين فقط جئت تبحث عني لتطلب الطلاق. والآن تخبرني أن علاقتك بإميلي انتهت، وأنك قررت أنك تريدني. قد تغير رأيك في الأسبوع القادم، فأنا لا أعلم ماذا يدور في نفسك وهذا لا يهمني لأنني لست تلك الفتاة الريفية الساذجة التي تظنها. دعني وشأني، يا ماك. اتركني وحدي وعد إلى لندن».

وعندما نهضت مدّ ماك يده كالبرق وأمسك بيدها: «اجلسي يا تارا. لم ننته بعد».

- بل انتهينا.

ومن دون أيّ اعتبار للرؤوس التي التفتت إليهما، انتزعت يدها من يده لتعود وتجلس في كرسيها. وقالت بهدوء وهي تحملق فيه بعينيها الخضراوين: «هذه قسوة. كان علينا أن نتطلق عندما انتهى الزواج. ما كان لنا أن ننتظر خمس سنوات... بماذا كنا نفكر؟».

أخذ ماك يحدق إليها ببطء، فيما وقف بجانبهما نادل ليسألهما إن كان كل شيء على ما يرام.

فأجاب ماك متوتراً: «نحن بأحسن حال».

وتابع من دون أن يحوّل نظراته عن تارا: «لعلنا نحتاج لاكتشاف الرد على هذا السؤال».

وعندما أخذ يتأمل ملامحها الجميلة، منجذباً كالمغناطيس إلى فمها الممتلئ الشفتين، شعر بالمشاعر تكتسحه بعنف. هذه هي الحال مع تارا، لم تكن بحاجة أبداً لأن تقول أو تفعل شيئاً لتثير فيه الرغبة. كل ما فيها يثيره بشكل متعذّر تفسيره. من ابتسامتها البطيئة الحلوة إلى الطريقة الرشيقة التي تحرك فيها جسدها فتدير الرؤوس، إلى الطريقة التي تبكي فيها عند سماعها أغنية حزينة أو مشاهدتها لفيلم مؤثر. حتى عندما تغضب منه، كانت شفتها السفلى ترتجف وعيناها الواسعتان الرائعتان

تطلقان شرراً محذراً. كل هذا كان يلهب الرغبة في ماك حتى الجنون.

- ماذا قلت؟

طرحت هذا السؤال وهي ترفع شعرها عن وجهها، هذه الخصلات العنيدة الشقراء التي كان يعشق أن يتخللها بأصابعه.

- أقول إننا ربما نكنّ لبعضنا البعض مشاعر أكثر مما تظنين. لطالما كان هناك ناحية من علاقتنا لا تسبب أي مشكلة، بل على العكس.

لم تصدق أنه يبتسم. لعلها تشعر بوهن في ركبتيها وبسخونة في جسدها فرؤيته جعلتها تحنّ إليه، لأنها ليست منيعة ضده، لكن هذا لا يمنحه الحق في أن يستغل ذلك ليحوّل الأمور لمصلحته.

يا إلهي! لقد بقيت عزباء منذ هجرها. وستبقى عزباء خمس سنوات أخرى قبل أن تستسلم لهذا النوع من الإغراء من دون أن يخزها ضميرها.

قالت باستياء، راجية ألاّ تبدو أشبه بعذراء متزمتة: «العلاقة الجسدية لا تشكّل أساساً قوياً ومتيناً للزواج».

فقال بابتسامة أذابت عظامها: «أوافقك على هذا».

وحاولت تارا أن تمنع جسدها من الارتجاف بينما تابع قائلاً: «لكن العلاقة الجسدية مهمة وتحتل حيّزاً كبيراً، ألا توافقينني الرأي؟»

- إذا كان هذا كل ما تريده من الزواج، فيمكنك أن تلجأ إلى بنات الهوى. أنا واثقة من أن بإمكانك أن تدفع المال. ماذا تريد أحسن من هذا؟ ما من ارتباطات أو متطلبات أو حاجة لإضاعة وقتك الثمين... إلا إذا شئت ذلك.

وما إن انطلقت هذه الكلمات من فمها، حتى تملكها الندم. لكن إذا كانت قد جرحت كرامة ماك، فهو لم يظهر دليلاً على ذلك...

- أخبرتك بما أريد، يا تارا. أريد زوجة وأولاداً. أريد أن نكوّن أسرة حقيقية. ألا تريدين هذا أنت أيضاً؟ كنت تريدين ذلك في

www.elromancia.com

أحد الأيام.

- لكنك أنت من لم يرغب في تكوين أسرة. أنت من تركتني عندما كنت حاملاً. هل نسيت؟

- كان عليك أن تخبريني.

- وأظنك كنت ستبقى من أجل الطفل! حتى لو ربيّته وحدي، فمتى كنت تنوي لعب دور الأب؟ عندما كنت تغادر إلى عملك كل صباح عند بزوغ الفجر أم عندما تعود ليلاً؟... هذا عدا عن أنك كنت تعمل في معظم العطل الأسبوعية. متى كنت سترى ابننا، يا ماك؟ عندما يبلغ سن الرشد؟

رفع ماك بصره إلى تارا وهو يلوي يديه فوق المائدة، فصدمت وهي ترى الكآبة المفاجئة في عينيه: «أخبريني عنه... عن الطفل».

٤ - رحلة مشروطة

- كان رائعاً، رغم صغر حجمه. لقد سمحوا لي بأن أحمله. كان يبدو وكأنه... وكأنه نائم.

رأى ماك يديها ترتجفان وعينيها تغرورقان بالدموع، فتمنى لو أنهما بمفردهما ليأخذها بين ذراعيه مواسياً. لعلها ستشعر هي أيضاً بأنها تريد أن تواسيه فهو أيضاً يتألم. لقد ظن حين رحل حينذاك، أنه يقوم بما هو أفضل لهما معاً! إلاّ أنّ كل ما فعله هو أنه جعل تارا تزداد تعاسة يوماً بعد يوم. من الطبيعي أن تكره تلك الساعات التي كان يكرّسها لعمله، لكنه هو أيضاً كان محبطاً غاضباً لأنها لم تفهم أبداً وجهة نظره رغم أنه لم ينفك يخبرها بأنه يعمل بكد من أجلهما. ولكن، ما أغرب أن تبدو له هذه الكلمات نفسها جوفاء وتافهة الآن.

- كم يوماً بقيت في المستشفى؟

يا إلهي، ما أشد حرارة الجوّ في هذا المكان! ألم يسمعوا بالمكيّف؟ ومدّ يداً مرتجفة وحلّ ربطة عنقه قليلاً ثم فتح الزر الأعلى لقميصه.

- يوماً وليلة. اسمع يا ماك، لا أرغب حقاً في أن أتحدث عن هذا الأمر حالياً.

وغصت بدمعها. ما أكثر المرات التي تخيّلت فيها نفسها وهي تخبره عن الطفل... غابرييل... كما أسمته! بقيت لليالٍ تلجأ إلى البكاء لكي تنام، متسائلة عما يفعله ومع من يكون، وعما إذا اتخذ امرأة

www.elromancia.com

أخرى. . . امرأة لا تزعجه كثيراً بالنسبة إلى عمله. الأمر الوحيد الذي ساعد تارا على التماسك هو حملها بطفل ماك. وعندما خسرت الطفل في تلك الليلة المريعة منذ حوالي خمس سنوات، تساءلت عما إذا كان بإمكانها أن تمضي بقية حياتها بكامل قواها العقلية. ولولا رعاية بيث وحبها البالغ لها، لما كانت هنا اليوم لتتحدث عن ذلك الوقت المريع.

– أريد أن أعوّضك عن هذا كله، يا تارا. . . هل ستدعينني أحاول ذلك؟

– لا يمكنك أن تعيد طفلنا إلى الحياة.

– هذا صحيح.

لم يجفل من اتهامها له بل تجلّد وأطبق فكه، متلقياً عقابه. ألا يستحق ذلك؟ لقد قرأ ذات مرة أن الحامل وجنينها يجب أن يعيشا في بيئة مستقرة عاطفياً لكن تارا كانت مضطربة إلى حد الخبل عندما هجرها. . . وغير مستقرة عاطفياً. هل كان إجهاضها بسبب غلطته تلك؟

قالت متظاهرة بمرح بدا واضحاً أنها لا تشعر به: «ما مضى قد مضى، فلنضع كل شيء خلفنا. هذا ما كنت أحاول القيام به».

ووقفت وهي ترسم ابتسامة على فمها. لا تريد أن تسلك سبيل اللوم بعد الآن فهذا يتطلب طاقة كبيرة كما أنه يجعلها تشعر بالمرض. كما لاحظت أن ماك لا يبدو في أحسن حال. ما زالت وسامته مدمّرة، لكنه يبدو أكبر سناً مما كان عليه منذ افتراقهما. فقد ظهرت خطوط خفيفة حول عينيه الرائعتين، كما بدت دلائل توتر حول فمه الجميل.

– إلى أين أنت ذاهبة؟

– أنا متعبة، فقد بقيت طوال النهار واقفة على قدميّ في العمل. إنني حقاً بحاجة إلى بعض الراحة، ألديك مانع؟

– أأنت واثقة من أنك لست مستعجلة لمقابلة رجل آخر؟

كان شديد الغضب وهو الذي يكاد لا يثق بنفسه عندما ينظر إليها.

– رجل آخر؟

وقطبت جبينها بحيرة صادقة.

– كنت قد قلت إن لديك موعداً.

– وأخبرتك عند لقائنا أنه ألغى الموعد في آخر لحظة.

– لا أصدقك.

تنهدت فلديه كل الحق في ألاّ يصدّقها، لأنها تكذب. لم يكن لديها موعد، وحتى التفكير في أن تجعل من راج عذراً، أمر لا يمكن التفكير فيه.

– لم يكن لديّ موعد. في الحقيقة كنت أحاول وحسب أن أتملّص من الموعد معك. آسفة.

– دعيني أدفع الحساب ثم آخذك إلى بيتك.

– هذا ليس ضرورياً. البيت ليس بعيداً. . .

– قلت إنني سآخذك إلى بيتك. انتظري لحظة واحدة.

أخرج محفظته وأشار إلى النادل وقد بدت ملامحه باردة، بينما تناولت تارا سترتها بقلب مثقل ثم سارت إلى باب المطعم تنتظره عنده.

* * *

هل من نهار أكثر كآبة من هذا؟ وأمعنت تارا النظر باكتئاب إلى خارج واجهة المتجر الأمامية. كان المطر ينهمر بغزارة ليرتطم بالرصيف مصدراً صوتاً قوياً.

أخذت تدلّك بإصبعها جانب صدغها حيث بدأ الصداع يهددها. كانت تارا متلهفة إلى أن تعلم ما الذي يفعله ماك الآن. لقد مضى يومان منذ أن تناولا العشاء معاً، ولم يتصل بها. وكان قد قال لها وهو ينزلها بجانب بيتها ذلك المساء: «سأراك قريباً».

لكن ملامحه الباردة لم تكن توحي بالثقة إذ بدا وكأن هموم العالم كلها ملقاة على كتفيه القويتين. وخطر لها أنها لن تبخل بشيء لكي

تساعد على تخفيف هذه الهموم عنه. ربما يمكنها أن تمسد تينك الكتفين كما اعتادت أن تفعل عندما يكون متعباً أو متوتراً.

في الماضي، حاولت جرّه إلى مركز لإعادة القوى والطاقة في الريف، لكنه كان سيء المزاج وغير متجاوب فأخذت تارا في نهاية الأمر تذهب بمفردها، تماماً كما كانت تفعل في معظم النشاطات أثناء حياتها الزوجية. . .

حدقت باكتئاب في المطر، ثم أخذت تتساءل عما إذا كان ماك قد عاد إلى لندن. لعله لم يعد يرغب فيها. وانقبض قلبها لهذه الفكرة.

سيكون هذا أفضل. لم ينجح زواجهما في أول مرّة، فما الذي جعله يظن أنهما سينجحان هذه المرة؟ لن ترضى بأن تعود إلى الوضع الذي كانا عليه من قبل، حين كان ماك يعمل كل تلك الساعات، بينما هي وحدها غير سعيدة في البيت.

كلا، إنها أفضل هنا في بيت عمتها. لم تكن مدينتهما الصغيرة لتقارن بلندن وما تقدمه، لكن ماك يفضّل مدينته المزدحمة الملوّثة حيث لم تسنح لهما الفرصة ليتعرفا إلى جيرانهما لأنهما كانا يعملان طوال الوقت.

- يا له من جو مخيف!

وانفتح الباب الثقيل في آخر الغرفة وبرزت بيث حاملة صينية صغيرة يعلوها فنجانان كبيران تعبق منهما رائحة القهوة اللذيذة.

تركت تارا المنفضة أعلى خزانة أدوات المائدة التي كانت تزيل الغبار عنها، وتقدمت تأخذ فنجانها.

- شكراً. لا بد أنك قرأت أفكاري.

- هذا لا يشفي صداعك.

- كيف عرفت أن لدي صداعاً؟

وضعت بيث الصينية من يدها على كرسي، ثم أزاحت بعض

الأوراق عن مكتبها وجلست على حافته. كان قرطاها اللؤلؤيان يتدليان بين خصلات شعرها الحمراء اللامعة، وأخذت رشفة من فنجانها ثم ابتسمت لابنة أخيها ابتسامة ذات معنى.

- لاحظت ذلك التقطيب بين حاجبيك الذي يظهر عندما تجاهدين لتركزي على عملك. لماذا لا تذهبين إلى المطبخ لتتناولي بعض الأسبرين؟

هزت تارا كتفيها: «سأكون على ما يرام. لا تقلقي عليّ».

- بل أفعل يا حبيبتي، وأنت تعرفين لماذا. هل من خبر من ماك؟

- لا.

وأخذت تارا تحرك فنجانها بين يديها محاولة أن تبقي ملامحها تهكمية قدر الإمكان: «لعله عاد إلى لندن».

- هذا غير ممكن، يا حلوتي، فأنا أعرف مدى عناد زوجك عندما يريد شيئاً. أتذكرين قضية مصنع الحلويات ذاك الذي بلغ التنافس عليه أقصاه منذ ست سنوات؟ لقد هزم ماك المتنافسين كلهم. ولم يكن هذا لوسامة وجهه بل لأنه عمل ليلاً ونهاراً لكي. . .

- أعرف هذا، يا بيث. هل نسيت أنني كنت موجودة؟

واخترقت صدر تارا طعنة ألم. مرّت ليالٍ أثناء تلك الحملة الإعلامية لم يعد فيها ماك إلى البيت. كان ينام على الأريكة في مكتبه لكي يكون موجوداً لدى ورود أي مخابرة هاتفية. وإذا أرادت تارا أن تراه لأمرٍ ما، كان عليها أن تحدد موعداً مع سكرتيرة أماندا الباردة كالثلج التي كانت تشعرها دوماً وكأنها تزعج ماك أو تلهيه عن أمر هام.

ذكرياتها عن تلك المرحلة بالذات جعلتها تدرك على الفور السبب الذي جعل عودتهما إلى بعضهما البعض مستحيلة.

لقد زعم أنه أخذ إجازة شهر ليجري الصلح معها، لكن تارا لم تر أي دليل على أن العمل لم يعد له الأولوية عنده.

www.elromansia.com

وتابعت تقول: «كما أنه ليس زوجي. . . على الأقل ليس بالمعنى الحرفي للكلمة».

وتملكها الضيق فأخذت تدلك صدغها وقد ازدادت حدّة الصداع فجأة، وقالت: «أظن أنه من الأفضل أن أذهب لإحضار الأسبرين».

– لو كنت مكانك لما خرجت من الغرفة الآن.

وأومأت بيث نحو الباب الخارجي حيث كان ماك يقف ساداً المدخل بكتفيه العريضتين وقامته الشامخة. كان يرتدي معطفاً حديث الطراز ومادي اللون كما كان المطر يتدحرج عن المظلة التي نفضها خارجاً. كان شعره مجعداً فيما قطرات المطر تتألق على ملامحه الجذابة، جاعلة عينيه تبدوان أشد زرقة. . . وبدا لتارا وكأن الزمن توقف. لم تلحظ أنها حبست أنفاسها حتى أطلقتها فجأة بآهة من الأعماق. تشبثت بفنجانها وكأنه طوق نجاة في بحر من الشكوك، ثم أخذت تمسح سروالها بيدها الأخرى متوترة.

قالت بيث ببشاشة مبالغ فيها كما رأت تارا: «صباح الخير. جئت في الوقت المناسب لاحتساء فنجان قهوة معنا. قهوتك سوداء من دون سكر، أليس كذلك؟».

تقدم منهما وهو يقول عاقداً حاجبيه بدهشة: «تذكرك هذا يملؤني غروراً».

– إنني أتذكر أموراً كثيرة عنك، يا ماك. بعضها حسن وبعضها الآخر ليس كذلك.

وتوارت بيث خلف الباب السندياني تاركة ماك وتارا بمفردهما.

بقيا لثوان من دون أن ينبس أيّ منهما بكلمة فيما راح ماك يلتهم تارا بنظراته. كانت ترتدي سروالاً أزرق وسترة صوفية سميكة بلون النعناع، وقد وضعت في أذنيها قرطين ذهبيين صغيرين. بدت جميلة، صغيرة السن وقد ازدادت فتنة في هذا النهار الخريفي. وتساءل ماك عابساً عما

إذا كانت مساعيه لاستعادتها ستمنى بالفشل.

سألها: «كيف حالك اليوم؟»

أجابت كاذبة راجية أن يزول هذا الصداع الذي تعاني منه: «أنا بخير. . . ظننتك عدت إلى لندن».

– لماذا أفعل هذا؟

– لإزالة أدلة عدم وجودك في العمل.

ونظرت إليه فتملكها الارتباك وهي تراه يبتسم. كان يثير ارتباك النساء وهو لا يبتسم، فكيف إذا فعل؟

– لقد جرحتني حتى العظم.

– أشك في ذلك.

ولسبب غير مفهوم، وجدت نفسها تبادله الابتسام فطرف ماك بعينيه غير مصدّق شاعراً بأنفاسه تتقطع. وفجأة، تملكه الأمل في أيام أفضل قادمة، وسرى الدفء في كيانه.

– جئت آملاً أن أغريك بالهرب معي لتمضية اليوم.

– إلى أين؟

اشتدت يدها على فنجان القهوة. كان عليها أن تجيبه بالرفض على الفور، لكن المطر خارجاً لا يزال ينهمر كطوفان نوح، وشعرت في أعماقها بلهفة إلى شيء جميل.

– ثمة نادٍ للصحة جيد للغاية، يحتوي على نبع مياه معدنية، ولا يبعد عن هنا أكثر من عشرة أميال. فكرت في أن أقصده لأتمرن ثم أخضع لجلسة تدليك، فهل تأتين معي؟

يا إلهي. . . وشعرت بشيء من الإثارة وهي تتصور ماك يخضع للتدليك. فأجابته وهي تبذل جهدها لكي تبقي صوتها مرحاً: «أنت تعرف تماماً كيف تغري الفتاة».

لم يكن تصنّع المرح سهلاً فيما ماك يبعث السخونة في جسدها

بتفحصه وجهها وقوامها ما جعلها تشعر وكأنها ستذوب.

أجاب: «اعتدت على ذلك».

كان صوته أجش منخفضاً، فاشتبكت عيناها الجائعتان بعينيه، وتلهفت للارتماء بين ذراعيه.

- إذن... هل سترافقينني؟

- عليّ أن أبحث الأمر مع بيث أولاً.

- تبحثين ماذا يا حبيبتي؟

ظهرت بيث فجأة وهي تحمل كوباً آخر من القهوة بين يديها المصبوغتي الأظافر بشكل لا عيب فيه.

- ماك يدعوني للخروج عصر هذا اليوم، إلى ناد صحي. فهل يمكنك الإستغناء عني؟

علّقت بيث: «أترين الزبائن يتدافعون عند الباب؟ يمكنني الاستغناء عنك طبعاً. اذهبي واستمتعي بوقتك، هل قلت نادياً صحياً؟ ستكونين مخطئة للغاية إذا جعلت هذه الفرصة تفوتك».

- شكراً يا بيث.

- قد يساعدك ذلك على التخلص من الصداع.

- صداع؟

وتحول اهتمامه من بيث إلى تارا التي احمر وجهها وقالت بخجل: «لقد زال الصداع».

بدت الرزانة على ملامحه فجأة، وأشار إلى الباب الذي دخلت منه بيث لتوّها: «خذي بعض الأسبرين قبل أن نذهب. هل تناولت طعاماً هذا الصباح؟».

فقالت بيث مقطبة: «قالت إنها ليست جائعة».

فبدت الصرامة في نظراته: «لن نذهب إلى أي مكان قبل أن تأكلي شطيرة على الأقل. وسأجلس هنا معك لأتأكد من ذلك».

ولأول مرة وافقته بيث الرأي، فتارا تبدو هزيلة وهي لا تريدها أن تفقد من وزنها شيئاً. وهي نفسها ليست من أنصار القائلين بأن النحافة جميلة، فالمرأة ذات المفاتن الأنثوية أكثر جاذبية بكثير. والرجال يوافقونها الرأيّ على حد علمها.

قالت باسمة: «فلنذهب إلى المطبخ. احمل معك قهوتك يا ماك وسأقفل أنا المتجر لنصف ساعة».

* * *

وبعد ساعتين، كانت تارا ملتفة بعباءة بيضاء ناعمة بعد أروع عملية تدليك عرفتها امرأة.

جلست في زاوية جلوس الضيوف حيث أخذت ترشف كأساً من كوكتيل الفواكه وهي تتساءل عما فعلته مؤخراً لتستحق مثل هذه النعمة.

ولم يكن ماك قد خرج بعد من المكان الذي يخضع فيه للتدليك فتمكنت من أن تجلس بهدوء لتتأمل ما حولها من ميزات، من لون الجدران الأزرق السماوي إلى الأشجار القصيرة المقصوصة بشكل جذاب، بينما شذا الزيوت العطرية يداعب أنفها.

وضعت كأسها على الطاولة وتناولت مجلة لتطالع مقالاً عن الحمية ومن ثم انتقلت إلى سير حياة بعض ممثلات هوليوود الشهيرات.

كانت طريقة تارا المفضلة للإسترخاء هي التجوال في الأرياف، وعلى ظهرها حقيبة وبين يديها خريطة وبوصلة تقودانها إلى حيث تريد، مدركة تماماً أن ما يهمها هو الرحلة وليس المقصد. لو كان بإمكانها فقط أن تقنع ماك بالبهجة التي يمكن أن يشعر بها في رحلة كهذه... لكنها لم تستطع قط أن تجعله يبتعد عن العمل. إن نصف ساعة تمضيها في تجوالها هذا تجعل مشاكلها تذهب مع الريح، مهما بلغ سوء الوضع. إن مقولة أن الطبيعة هي أفضل دواء صحيحة. ولو كانت تعيش، حيث جمال الطبيعة يحبس الأنفاس، لما اختارت أبداً أن تعود

www.elromancia.com

إلى لندن.

- كيف حال الصداع؟

اتسعت عيناها دهشة، ونظرت إلى ماك لتجده يبتسم لها ابتسامة عريضة. بدا لها فجأة، بشعره الأشقر اللامع واختفاء خطوط القلق من وجهه، وكأنه عاد تقريباً إلى سن الصبا. وفاضت المشاعر في صدر تارا، فقالت خافت: «أي صداع؟».

- لقد أفادتك الرحلة إلى هنا إذن؟

- عشرة على عشرة. إنني أمنحها صوتي.

- هذا حسن.

وقرّب مقعداً منها وجلس عليه ثم ابتسم لها: «يبدو أنك تحتاجين إلى بعض الوقت لإقناع نفسك».

- انظروا من يتكلم.

وفجأة أخذت عيناها الخجولتان تثيران مشاعر لذيذة في جسد ماك المسترخي، وشعر برغبة كبيرة في أن يأخذ زوجته بين ذراعيه مرة أخرى. حسناً... ليس لمرة واحدة فقط بل إلى الأبد وحتى يفرقهما الموت كما تنصّ عهود الزواج. وضاق صدره بشوق مفاجئ. ما من نجاح في العمل يمكن أن يقارن بما يشعر به مع تارا.

في بداية زواجهما، جعلته تارا يشعر بأنه رجل حسن... وأفضل مما كان. فما الذي جعله ينسى كل ما كان بينهما ويفضّل على ذلك التقدم بسرعة في مهنته؟ في العمل، كانوا يلقّبونه «بالساحر» لأنه ينجح حتى في أكثر الأمور تعقيداً. كانت الحملات الإعلانية التي يتولاها مبتكرة وبديعة بقدر ما هي ناجحة. إنها أعمال فنية بحسب ما قاله عنها أحد النقاد في صحيفة محلية. أما في زواجه، فلا يمكن لماك أن يوصف بالساحر.

بدا هادئاً للغاية فتملك تارا الفضول لمعرفة السبب، رغم أنها رأت

الضيق في عينيه.

وقبل أن تفكر في حكمة ما تفعله، وضعت يدها على ركبته وضغطت عليها قليلاً: «ما الأمر يا ماك؟ ماذا يدور في ذهنك؟».

نظر إلى يدها الشاحبة النحيلة على ركبته، وغص بريقه. إنها لا تعلم أن لمستها هذه تحرقه، وأن هذا الحريق لن يتوقف حتى تزيد من لمساتها له... حتى يطفئ رغبات خمس سنوات من الانفصال المرعب البغيض. عندئذ... عندئذ فقط سيشعر... بأنه شفي.

- كنت أفكر في الرحيل لفترة في إجازة.

سحبت يدها فجأة وكأنها احترقت. شعرت بغصة في حلقها من الألم والخيبة، ثم أخذت تنظر في المجلة لتخفي اضطرابها، وقد غامت الكلمات والألوان أمام عينيها.

- وأريدك أن تأتي معي.

انتفض قلبها: «في إجازة؟ إلى أين؟».

- إلى إيرلندا. لدي صديق هناك لكنه غائب عن بيته حالياً في إجازة. بيته لا يبعد عن البحر أكثر من أمتار. لا أضمن جواً أو سماءً زرقاء، لكن سيتسنى لنا الوقت للتحدث والسير على الشاطئ والتعرف إلى بعضنا البعض مرة أخرى.

أخذت تحدق إلى عينيه الزرقاوين بدهشة: «متى ستفعل ذلك؟».

شعر بارتياح في داخله، لأنها لم ترفض ما منحه بعض الأمل.

- غداً أو بعد غد.

خير البر عاجله بالنسبة إليه.

- كم ستطول الإجازة؟

- حسب رغبتنا، سيبقى البيت خالياً حتى عيد الميلاد.

- آه... يا ماك.

وتملكتها الإثارة فجأة فوقفت وأخذت تتمشى في الغرفة ثم

استدارت لتواجهه: «لماذا لا تتخلص من هذه التعاسة كلها وتنطلق؟ إننا نخدع أنفسنا إذا ظننا أن بإمكاننا أن ننجح في زواجنا مرة أخرى».

وجاء دور ماك ليقف: «وكيف تعلمين ذلك ذا لم نمنح أنفسنا فرصة كافية؟ ما زلت أرغب فيك يا تارا، وما الذي يجعلني أرغب في العودة إليك غير هذا؟».

شبكت ذراعيها على صدرها وقد فوجئت بالإخلاص في نبرته وصوته، ثم قالت تذكره بلطف، غير قادرة على إبعاد الألم من صوتها: «لكنك كنت ستتزوج امرأة أخرى».

- كلا . . . أعتقد أنني كنت سأعود إلى رشدي قبل أن أفعل هذا. إميلي ليست من النوع الذي يصلح للزواج.

- وهل أنت تصلح لذلك؟

علق سؤالها هذا في الهواء بينهما، فأحنى ماك رأسه: «كنت شبه أعمى يا تارا فأفسدت الأمور. أليس مسموحاً للناس أن يرتكبوا أخطاء في عالمك الصغير المثالي؟».

أومأت والخجل في ملامحها. الكل يخطىء، والله يعلم كما ارتكبت هي من أخطاء. ورفعت رأسها لتجيب: «لا بأس. سآتي معك إلى ايرلندا. سنتحدث، ونمضي الوقت معاً . . . لكنني لن أعدك بشيء، وأريد أن ننام في غرفتين منفصلتين».

- هل هذا هو شرطك الوحيد؟

ولم يستطع أن يمنع الابتسامة العريضة التي بدأت ترتسم على وجهه. لقد أقنعها بالذهاب معه إلى ايرلندا، فهل سيكون من الصعب أن يقنعها بما يريده؟

إنها تخدع نفسها لو اعتقدت أنه لم يعد بينهما أي انجذاب. لو كانت الشرارات الكهربائية التي تتطاير بينهما مرئية فلا بدّ أن لونها أحمر ساخن.

قالت وهي تنظر إلى ماك باستخفاف: «لابد أنني بحاجة إلى فحص للدماغ».

واستدارت متجهة إلى الباب لتخرج منه قاصدة غرفة تغيير الملابس للسيدات.

www.elromancia.com

٥ - حلم مزعج

- تارا! أنت راحلة؟ لماذا لم تخبريني؟

قطع راج ركضاً المسافة التي تفصله عن صديقته الواقفة أمام متجر عمتها، وانقض عليها لاهثاً وهي ترفع حقيبة ملابسها لتضعها في صندوق سيارة ماك المرسيدس. كان ماك يحاسب الفندق وسيعود في أي لحظة الآن مع أمتعته.

أزاحت شعرها عن وجهها ونظرت مقطبة إلى ذلك الشاب الآسيوي الطويل الوسيم: «لماذا؟ هل من أمر هام؟».

- كلا. أنا متكدر فقط لأنك لم تخبريني عن رحلتك. ما كنت لأعرف عنها شيئاً لو أن عمتك لم تذكرها لأبي. قالت إنك ستذهبين إلى ايرلندا مع صديق. فمن هو هذا الصديق الذي تذهبين معه؟

مضت لحظة أو اثنتان قبل أن تهدأ لهجته التي أدهشتها، لتشعر تارا بعدها بغيظ واضح. قبولها قضاء أسبوعين مع ماك في بيت منعزل على ساحل ايرلندا تطلّب شجاعتها كلها وآخر ما تحتاج إليه هو أن يظهر راج غيظه لهذا.

- في الحقيقة، إنه... زوجي. آسفة لأنني لم أخبرك من قبل، لكنني أنا نفسي لم أعرف بشأن الرحلة إلا منذ يومين. كنت سأرسل لك بطاقة بريدية.. أو اثنتين إذا كانت ولداً طيباً.

ولأول مرة لم يعجب راج بمزاح الشقراء الجميلة، بل شعر باستياء بالغ لرحيلها مع رجل آخر.

كان يعلم أنه سيتزوج قريباً، لكنه أمِل أن يستمتع بصحبة تارا لشهرين على الأقل قبل أن يتحمّل مسؤولياته كزوج.

- لماذا ترحلين مع الرجل الذي هجرك كل تلك المدة؟ لم أكن أعلم أنك عدت لمقابلته.

عدّت تارا في ذهنها حتى عشرة لكي تتمالك نفسها، ثم أقفلت صندوق السيارة بعنف. كان النهار صاحياً ودافئاً فوضعت نظارات شمسية على عينيها: «هذا شأني الخاص، يا راج. لست مضطرة أشرح تصرفاتي لأي شخص، أرجوك أن تحترم ذلك».

فبدا عليه الألم: «لقد جرحت مشاعري. ظننت أننا صديقان. هل تنكرين أن أمرك يهمني وأنني لا أثق بهذا الرجل الذي يمثل دور الزوج أحياناً؟ أنا لا أثق به لحظة واحدة. إذا حدث لك أيّ سوء أثناء هذه الرحلة، فسيكون مسؤولاً أمامي حين تعودان».

انفجرت ضاحكة لهذه الشهامة التي لم تتعوّد عليها: «آه، يا راج!».

واحتضنته بشدة وهي تتابع: «ماذا سأفعل من دونك. أنت مسلٍ. أتعلم أنك تساعدني على أن أبقى سليمة العقل؟».

وعندما استسلم راج بعجز لتحببها هذا، والتفت ذراعاه حول خصرها بعطف، لم يلحظ أي منهما ذلك الرجل الأشقر الطويل بسرواله الأسود وكنزته السوداء العالية الياقة الذي سار بجانب السيارة، وألقى بحقيبته الأنيقة على الرصيف، ثم نظر إليهما والشك في عينيه الزرقاوين الباردتين.

كان راج أول من رآه، وشعرت تارا بتراجعه فلكزته مداعبة: «لن تتخلص مني بهذه السهولة».

- عندما تجهزين يا تارا، علينا أن نلحق بالطائرة.

عندما سمعت صوت ماك البارد كالثلج، تركت راج واستدارت إليه وقد احمر وجهها: «ماك! لم أرك».

- هذا واضح.

وتوتر فكه. ولم تكن بحاجة إلى ذكاء خارق لتدرك أنه في غاية الضيق، فقالت بسرعة: «دعني أعرفكما ببعضكما البعض. هذا راج سينغ. أنا وهو.. صديقان».

لماذا صدرت عنها هذه الحقيقة بمثل هذا الوهن والضعف؟ ما من شيء لعين في صداقتها مع راج يجعلها تشعر بالذنب، لكنها الطريقة التي راح ماك ينظر به إليها وكأنه فاجأهما معاً في وضع مريب. وتشنّجت معدتها غضباً. ليس لديه الحق... لا يحق له أن يحوّل علاقة بريئة تماماً إلى شيء هو موضع شك وتساؤل.

- أهلاً وسهلاً.

تهذيبه الطبيعي طغى على شعوره بالإساءة لانتهاك الرجل حرمته، فمد يده إليه. وتشابكت اليدان للحظة... ولم يحرص أي منهما على أن يطيل أمد هذا التوتر: «أنا ماكسن سيمونسن، زوج تارا».

كان يعلم لماذا أضاف الجملة الأخيرة ولم يهتم بأنه بدا وكأنه يعلن حقه فيها. لقد شعر وكأنه تلقى صفعة عندما عبر الشارع ورأى تارا تعانق رجلاً آخر. أتراه الرجل الذي كانت على موعد معه ولم تذهب إليه تلك الليلة عندما تناولا العشاء معاً؟

قال راج يخاطبه بزهو: «اعتني بها جيداً أثناء الرحلة. إنها غالية جداً عليّ».

لا شك أن تارا كانت لتضحك لو أن المشهد ليس متوتراً مربكاً بهذا الشكل. لكنها التزمت الصمت وهي ترى كتفي ماك العريضتين تتصلبان بشكل ملحوظ وعيناه تطلبان منها التزام الحذر. كلما قلّ كلامها الآن كلما كان ذلك أفضل.

- وهي غالية عليّ أنا أيضاً.

والتفت إليها، فحمدت الله لأنها وضعت نظارات الشمس على

عينيها، إذ أنّ كلماته هزتها بإخلاصها. لقد دهشت وابتهجت في الوقت نفسه. وتملكتها الإثارة فجأة وهي تتصوّر نفسها تقضي أسبوعين معه وحدهما، ليتعرفا إلى بعضهما البعض مرة أخرى على حدّ قوله.

- على أيّ حال، من الأفضل أن ننطلق.

ونظر إلى ساعته ثم فتح صندوق السيارة ليضع أمتعته: «علينا حقاً أن ندرك الطائرة. هل أنت جاهزة يا تارا؟»

- علي فقط أن أودع عمتي. وداعاً يا راج. سأرسل لك بطاقة بريدية.

فقال بلهجة ذات معنى، من دون الاهتمام بأن زوجها ينظر إليهما: «أسرعي بالعودة».

فتمتمت برقة: «انتبه إلى نفسك، أنت أيضاً».

ثم فتحت باب المتجر وتوارت في الداخل.

انتظر حتى استقرا في الطائرة ليعود إلى الموضوع الذي شغل باله طيلة الطريق إلى المطار. كانت قد تكهنت أثناء رحلتهما بالسيارة بأن ثمة ما يشغل باله لكنها استبعدت أن يعتقد أنها على علاقة عاطفية براج. إلاّ أنّ النظرة الجادة في عينيه الملتهبتين جعلتها تستنتج أنه يعتقد ذلك فعلاً.

- أخبرتك أني لم أكن على موعد مع أحد. لمعلوماتك... وكما سبق وقلت، أنا وراج مجرد صديقين. هل تصديق هذه الفكرة صعب عليك إلى هذا الحد، يا ماك؟

- الطريقة التي كان ينظر بها إليك توحي بوجود ما هو أكثر من مجرد صداقة يا تارا.

وحوّل ماك نظره عنها ففكرة أن رجلاً آخر يرغب فيها تجعله يغلي في داخله. حين كانا منفصلين تمكّن من أن يخدع نفسه ويقنعها بأنه لا يهتم إذا ما عرفت رجلاً آخر، لأنه لم يكن على صلة بها. وما دام لا

يراها فلن يؤلمه الأمر.

إنما الآن، وبعد أن رآها، واشتم رائحتها المغرية الممتزجة بحرارة جسدها، وبعد أن رأى مختلف أنواع اللون الأخضر التي تلوّن عينيها الرائعتين، وشاهد ابتسامتها الخجلى ولكن المثيرة بشكل لا يصدّق. . . لا يستطيع أن يفكر حتى في السماح لرجل آخر بالاقتراب منها من دون إذن منه. لكنه يعلم أنها لن ترحب بمثل هذا التملك الذي لا مبرر له، لاسيّما بعد أن هجر بيت الزوجية.

– أنت تتخيل أموراً غير موجودة. أولاً، راج لا يهتم بي من تلك الناحية. وثانياً. . .

نظر إلى عينيها الخضراوين المتمردتين وابتسم بالرغم عنه، رغم شعوره بالغيرة. وتابعت: «وثانياً، سيتزوج في عيد الميلاد فتاة هندية جميلة جداً في بلده كيريلا».

– إذن ما هي طبيعة علاقتك به؟ لا تخبريني أنكما مجرد صديقين. أنت فتاة رائعة الجمال فلماذا لا يهتم بك حتى ولو كان مخطوباً لفتاة أخرى؟

– ألا تؤمن بالصداقة بين رجل وامرأة؟

– باختصار لا!

اختار مجلة وأخذ يتصفحها متابعاً: «عاجلاً أم آجلاً ستتطور المشاعر في مثل هذه العلاقة».

هدر الدم في أذني تارا. ولتمنع ماك من رؤية الاحمرار الذي كسا وجهها فجأة، أخذت تنظر من النافذة الصغيرة، وهي تفكر في أن شعورها بعدم الاستقرار لا يعود فقط إلى أن الطائرة ابتدأت ترتفع في الجوّ.

استيقظ ماك والعرق يغمره. آخر أثر بقي من حلمه كان يمزقه تمزيقاً، باعثاً الألم في صدره والخفقان في قلبه. لقد سمع طفلاً

يبكي. . . طفلاً في محنة. طفل تارا. ابنه؟

كان حزنه عميقاً لأنه لم يكن موجوداً لينقذه.

انتصب في جلسته ثم دس أصابعه في شعره، وقد أذهله العرق المتصبب من جبينه، وجفاف فمه والألم في حلقه.

طرف بعينيه بشدة ثم نظر ناحية النافذة حيث كان ضوء الصباح الضبابي يتسرب إلى الداخل إذ نسي أن يسدل الستائر المخملية السميكة الليلة الماضية. وما لبث أن استرد وعيه ببطء. وعندما هدأت خفقات قلبه تناول زجاجة المياه المعدنية الصغيرة التي بجانب سريره وفتحها ليشرب منها بلهفة. بعدئذ، نظر إلى ساعته ليرى أن الوقت تجاوز السابعة صباحاً بقليل. لا بد أنه نام بعمق لأنه لم يتحرك طوال الليل منذ لمس رأسه الوسادة قرابة الساعة الحادية عشرة. كانا قد وصلا إلى البيت متأخرين لأنهما توقفا في مدينة لتناول العشاء، ولأنهما أمضيا وقتاً طويلاً في اكتشاف الطرقات ما جعلهما من التعب والإرهاق بحيث لم يتمكنا من القيام بأي عمل عدا الارتماء على سريرهما كل في غرفته.

وأخذ يتنفس بعمق في محاولة منه للتخلص من آثار النوم وليتمكن من الاستيقاظ بشكل صحيح.

لقد جرحه هذا الحلم في الصميم، والمشاعر التي أثارها ما زالت تعذّبه. وتمنى ألاّ يتكرر هذا الحلم وإلاّ فسيخجل من النظر في عيني تارا.

نظر في أنحاء الغرفة يتأمل محتوياتها فرأى خزانتين خشبيتين داكنتي اللون قائمتين إلى جانبي الباب وطاولة زينة تناسبهما من حيث اللون، وأريكة صغيرة ذات غطاء من المخمل الأحمر موضوعة تحت نافذة واسعة.

نزل من السرير وتمطى ثم سار على السجادة السميكة إلى النافذة

ليستكشف المنظر الذي تطل عليه. لقد أخبره صديقه ميتش أن المشهد رائع الجمال. وعندما رأى ماك مياه المحيط تلعق بلطف رمال الشاطئ البيضاء المترامية على مدّ النظر، أدرك أن صديقه لم يكذب. تنفس بعمق، وشبك ذراعيه على صدره العريض، وحدّث نفسه بصمت بأنه إذا لم ينجح في أن يصلح ذات البين بينه وبين تارا هنا، فلن ينجح في ذلك في أي مكان آخر.

* * *

شعرت وكأنها عادت صبية صغيرة، مرحة، حرة، لا يثقل عليها ألم أو أسف أو تعاسة. خلعت حذاءها من قدميها، ورفعت سروالها ثم ركضت على الرمال لتصرخ بصوت عالٍ عندما ارتطمت المياه الباردة بقدميها وجعلتها ترتجفان. هذا أروع مكان قصدته في حياتها. هذا ما خطر لها وهي تنظر من حولها برهبة. ارتفعت خلفها التلال الخضراء حيث يربض بين جنباتها منزل صديق ماك الأبيض الجميل، بينما السماء الزرقاء تعلوها والمحيط الأطلسي يمتد بجانبها، بشاطئه الأبيض الجميل. أغمضت عينيها بسعادة ثم أخذت تتنفس بعمق هواء البحر المالح وتستمع إلى زعيق طيور النورس وأدركت أنها لن تندم قط على قدومها إلى هنا رغم أن ما من شيء في الأفق ينبئ بنهاية سعيدة لهما، هي وماك. عندئذ، فتحت عينيها. كيف سينجحان هنا في حين فشلا طوال تلك السنوات حين كانت مشاعرهما نحو بعضهما البعض أعمق مما هي عليه الآن؟ كانت عميقة حتى هجرها ماك... هل أخطأت حين لم تخبره عن الطفل؟ ولو فعلت هل كانت الأمور لتختلف عما هي عليه الآن؟

- تارا؟

التفتت عند سماع اسمها وخفق قلبها لرؤية ماك يسير على الشاطئ متوجهاً نحوها وقد ارتدى ملابس بسيطة هي بنطلون من الجينز وقميص

قطني أبيض مقفل، وقد أضفت الشمس روعة على وسامته الشقراء وقامته الطويلة وبنيته الرياضية. شعرت تارا فجأة بالخجل فشبكت ذراعيها على صدرها وتراجعت نحو الخلف.

- صباح الخير. كيف كانت ليلتك؟

ابتسم لتحيتها الرسمية المتحفظة، ثم وقف بعيداً عن الأمواج المزبدة على الشاطئ، وقد تفجرت في صدره بهجة غريبة وهو يرى تارا تقف في الماء حافية القدمين وقد شكّل شعرها الأشقر هالة حول وجهها وهي تلتفت إليه.

- أنا نمت جيداً، وأنت؟

- نوعاً ما. البيت الغريب وكل هذا يتطلب وقتاً للتعوّد عليه. ولكن المكان خيالي أليس كذلك؟

وأخذت ترفس المياه بقدميها وهي تضحك كطفلة كلما ارتفعت الموجة إلى ساقيها ناسية أنها وماك لم يعودا على اتصال منذ فترة. وإذ لاحظت أن عينيه أظلمتا فجأة، توقفت عن رفس المياه وعادت إلى المياه لتضع مسافة بينها وبينه.

سألها باهتمام وهو يتبعها داساً يديه في جيبي سرواله: «ماذا حدث؟»

- لا شيء.

- أخبريني.

- لا بأس إذن. أشعر... أشعر بارتباك معك.

- لماذا؟ لقد عشنا معاً ثلاث سنوات... تشاركنا في شقة واحدة... عشنا الحياة معاً. عشنا كما يعيش كل زوجين، يوماً.

- وماذا عن الخمس سنوات التي لم نعش فيها معاً، يا ماك؟

ودفعت شعرها إلى الخلف بفروغ صبر وهي تحدق إليه مقطبة: «هل المفروض أن ننسى هذا الأمر بهذه السهولة؟».

فقال بجد بالغ: «لا . ألسنا هنا لهذا الغرض الآن؟».

- لا أدري لما أنا هنا . اعتبرها لحظة جنون. لم يعد لدينا ما يستوجب الحلّ، يا ماك. وما هذا إلا مجرد مضيعة للوقت بينما ما نحتاجه حقاً هو أن نوقع أوراق الطلاق ليتابع كل منا حياته خاصة.

شعر بالإحباط لشكوكها هذه: «كلا».

رفض الموافقة على كلامها هذا الذي لم يعجبه على الإطلاق، لاسيّما وأنه يعتبر نفسه المسؤول عن شكوكها هذه.

ذات يوم كانت تارا فتاة دائمة التفاؤل. لطالما كانت ترى النصف الملآن من الكأس وليس نصفها الفارغ.

- كلا؟

وشعرت بغصة في حلقها وخافت أن تبكي. وبدلاً من أن تجد متنفساً لاستيائها، جلّ ما أرادت أن تقوم به هو أن تتوسل إليه كي يحتضنها. أرادت أن تسمح لنفسها ولو لمرة واحدة، بان تتذوق سحر وجودها بين ذراعيه، أن تلقي رأسها على صدره القوي الدافئ وتشعر بدقات قلبه.

وأخذت تناجيه بصمت: أواه يا ماك، لماذا ساءت الأمور بيننا إلى هذا الحد؟

- قلت لك من قبل وأكرر ذلك الآن. أنا لا أريد الطلاق، وأريد أن أثبت لك أن بإمكاننا أن نعود للعيش معاً سعداء، مرة أخرى.

- طبعاً. عليك أن تحافظ على سمعتك، أليس كذلك؟ ماك سيمونسن «الساحر»؟ الرجل الذي يمكنه أن يحوّل الفشل إلى نجاح. سامحني إذا رأيت أنك تخليّت عن عملك من أجل شيء فاشل.

وعادت إلى حيث تركت حذاءها فانتعلته ثم هرولت مبتعدة عنه.

شتم ماك بصوت خافت وناداها: «إلى أين تذهبين؟».

فأجابته صارخة: «أنا جائعة جداً وسأعود إلى البيت لأبحث عن

طعام».

خف توتره واستدار عائداً إلى البحر وأخذ ينظر إلى الأفق بكآبة. على الأقل لم تقل إنها تريد أن تستقل أول طائرة تعيدها إلى الوطن.

- يا له من صديق كريم!

واتسعت عيناها لرؤية الأطعمة التي تملأ الثلاجة، فاختارت علبة لحم وعلبة بيض.

ثنت كميها إلى الأعلى وغسلت يديها جيداً ثم انحنت تبحث في الخزانة عن مقلاة.

وقف ماك عند العتبة يتأملها وهي تبحث بين الأواني حتى وجدت مبتغاها. وعندما لاحظ أنها لا تشعر بوجوده رأى أن لا ضرر من أن يقف هنا متأملاً جسدها المتناسق رغم صغر حجمه، والذي كان يتحرك بخفة عند الموقد.

- قال ميتش إنه سيملأ الثلاجة بالطعام من أجلنا، فما رأيك في أن نحضّر الفطور معاً؟

استدارت والمقلاة في يدها، وطرفت بعينيها للمشهد الخلاّب، مشهده وهو يتكئ على الباب وقد تشعث شعره الأشقر الكث بشكل مثير.

كان بعيداً كل البعد عن صورة رب العمل الناجح، ذو الأناقة الشديدة، صاحب وكالة إعلانات رائدة، وشعرت بالأسف، وتمنت لو رأته بهذا الشكل حين كانا يعيشان معاً.

- لا بأس، يمكنني أن أعد الفطور بنفسي. علينا أيضاً أن ندفع لصديقك بدل ضيافته. إذا أخبرتني بالمبلغ المطلوب فسأحرص على أن أعطيك النصف عن نفسي.

كتم ماك غضبه. إنها مستقلة بشكل لعين وهذا ما يزعجه حقاً.

- لقد تدبرنا الأمر، ولن تدفعي ثمن أي شيء! لقد دعوتك لمرافقتي

www.elromancia.com

فإياك حتى أن تفكري في ذلك. كيف تحبين البيض؟ مقلياً أم مسلوقاً؟

وتقدم ليقف بجانبها ثم نظر إليها يتحداها أن تعود إلى الجدل.

دمّرها قربه منها ورائحة عطر ما بعد الحلاقة المثير للحواس. أثارت دهشته حين دفعت إليه بالمقلاة بشدّة ثم ابتعدت عنه إلى الجانب الآخر من المطبخ وهي تجيبه: «أنت من يملك قدرة كبيرة على الاستنتاج، فلماذا لا تفعل ذلك؟».

لم تكن الهدنة بينهما مريحة وهما يتناولان الفطور معاً. لكن تارا أكلت على الأقل فشعر بالراحة لهذا وكأنه أم تحاول جاهدة إطعام ابنها الذي لا يريد أن يأكل جيداً. وبعد أن رتّبا المائدة والمطبخ، أمسك ماك يد تارا فيما كانت تحاول الخروج من المطبخ.

- لماذا لا نخرج في جولة بالسيارة؟

حدّقت إلى يده الكبيرة تغطي يدها الصغيرة البيضاء، وشعرت وكأن ذراعها تعرضت لمسّ كهربائي.

أجابت بصوت أبح، والاضطراب يتملكها وهي تراه يبتسم: «أفضل المشي».

كانت ابتسامته مثيرة للغاية وحدقت إلى الشق الصغير العميق في ذقنه وهي ترجو ألاّ يبدو عليها ما تشعر به من فزع.

قال ببطء وقد بدت عليه التسلية: «حسناً... إذا كان هذا ما تريدينه».

فانفجرت قائلة وهي ترتجف لأنه لم يترك يدها فوراً: «لكنك تكره السير على الأقدام. كنت تقول لِمَ نذهب مشياً ما دامت السيارة أسرع!».

قطب جبينه برعب ساخر: «هل كنت أقول ذلك؟ لا بدّ أني كنت مسرعاً للوصول إلى مكان ما من أجل العمل».

فقالت والدم يهدر في أذنيها لأنه ما زال يمسك بيدها: «إجتماع كبير

في الجهة الأخرى من المدينة. لطالما كان لديك اجتماعات كبيرة ليست متوسطة أو صغيرة ولطالما كانت الأمور معجّلة... كنت تعيش حياة مجنونة، يا ماك».

- لا أظن أن بإمكاني إنكار ذلك.

وأبعد يدها عابساً وكأنها حبة بطاطا ساخنة.

تنهدت: «إذا أردت أن تتنزه سيراً على الأقدام، فأنت بحاجة إلى أحذية صالحة لذلك. هل أحضرت ما يلزم؟».

- ماذا؟ أتظنينني غير قادر على إحضار ما يلزمني للمكوث في الريف؟

- ولن اضطر إلى النظر في الساعة وأسرع بالعودة، كما لم ترتب أمر الذهاب إلى مكان آخر، أليس كذلك؟ أو مقابلة شخص آخر؟.

واحمر وجهها لأن ابتسامته لم تظهر بعد. كان عليها أن ترغم نفسها على ألاّ تتزحزح عن موقفها. لعل ماك لن يُعجب بكلامها هذا، لكنه بحاجة لأن يسمعه. ما زالت غير مقتنعة بأنه لم يعد ذلك الرجل المهووس بالعمل الذي كان عليه منذ سنوات، عندما قادها إلى حالة اليأس هذه.

ومن دون تمهيد، خلع ساعته ووضعها على الطاولة: «أنظري. سأترك الساعة هنا. سنسير طوال النهار إذا شئت، ولن أشكو. وجوابي على أسئلتك هو النفي. ليس عليّ أن أكون في مكان آخر، ولم أحدد موعداً مع شخص آخر. ما من شخص آخر يعلم أنني هنا، يا تارا. يمكننا أن نفعل ما نريد، ومتى نريد».

تمنت لو يستطيع إثبات صحة كلامه إلاّ أنه اندفع خارجاً من الغرفة قبل أن يدفعه ما يشعر به من إحباط إلى الجنون.

تملكها القلق من أن تكون قد جرحت كرامته وأخذ قلبها يخفق بسرعة وهي تناديه: «ماك؟».

www.elromancia.com

أجابها صائحاً: «سأحضر حذائي الخاص بالمشي».

لم تستطع أن تكبح ابتسامة السرور التي فاضت من داخلها وجعلتها تعض شفتها ببهجة خفية.

٦ - فتى المدينة

- ألا تشعر بالتحسن بعد خروجك في الهواء الطلق؟

ووقفت تنظر من حولها وقد توهج وجهها احمراراً وصحة، فيما التمعت في عينيها حماسة غلام يبحث عن كنز. وابتسمت بسعادة لماك الذي كان يسير في أثرها بصمت منذ أربعين دقيقة.

مسح العرق عن جبينه وهو ينظر إلى تارا بلهفة. لا يتصور أن ثمة امرأة أحلى وأكثر إثارة للرغبة منها. بقي لأميال يسير خلفها ويتأمل جسمها المغري وهو يتمايل أمامه بشكل مثير، من دون أن يتعب من هذا المشهد.

ورغم أن حذاءه الجديد أذاقه المرّ وأحدث بثرة مزعجة للغاية في كعب قدمه، قال: «اعطيني قدمين جديدتين فأصعد إلى قمة العالم».

- أهذا هو حذاؤك الجديد؟

توجهت نحوه والقلق بادٍ على ملامحها. وخطر لماك أنّ الأمور آخذه في التحسن.

كانت هذه هي المرة الأولى منذ انطلاقهما التي تنظر فيها إليه وليس إلى مشهد جميل. لم يحتج قط من قبل إلى أن يتنافس مع أعشاب أو أشجار ليلفت انتباه امرأة ما.

- هل نجلس لنرتاح قليلاً؟

- ألم تجد أفضل من أن تلبس حذاءً جديداً لرحلة طويلة في الريف؟

فأجاب محتجّاً: «إنني ابن المدينة... والعيب فيّ أنا وليس في الحذاء».

حاولت ألاّ تظهر إحباطها لاضطرارها للتوقف بينما هي مستمتعة للغاية. وأخذت تفكر في ورطة ماك، ثم أومأت ببطء. كان هذا جديداً تماماً عليها، فهي المسؤولة عن هذه الرحلة. وتحرك شعور ما في أعماقها لفكرة أن رجلاً مثل ماك، يعاني من محنة، حتى لو كان الأمر يتعلق بقدميه وحسب!

- من الأفضل أن تخلع حذاءك وتريني حالة قدميك.

فابتعد عنها بحذر: «مستحيل. لن أدعك تتفحصين القدم التي تؤلمني. أتذكر كيف حاولت مرة أن تنتزعي شظيّة من ساقي... فكدت تقتلينني. أنت تبدين رقيقة يا تارا، لكن إذا أردت أن تعتني بمريض أو جريح، تتصرفين وكأنك «كينغ كونغ» الشمبانزي العملاقة».

في البداية، جرحها تشبيهه المنافي للذوق لكنها عادت ورأت الجانب الهزلي من الوضع. فقد بدا ماك مرعوباً لفكرة أنها قد تضمد قدمه المصابة، واكتشفت أن لديها ميلاً لأن تكون يدها بعيدة عن الرقة والخفة أحياناً، ما جعلها تضع يدها على معدتها ثم تنفجر ضاحكة.

وفجأة، شاركها ماك الضحك بمرح صاخب خارقين بذلك سكون هذا اليوم الخريفي الرائع. وبعد أن هدأ ضحكهما، شعرت تارا بنوع جديد من السكون يحيط بهما، سكون يحمل مزيداً من المعاني العميقة. وحاولت أن تسمّر عينيها على أزرار سترته الكاكية اللون ففشلت، وأدركت أن عليها أن تحطم السحر وتبتعد عنه قبل أن تفعل ما قد تندم عليه. تصرّف قد يسبب لها ألماً في ما بعد عندما يصبح لديها وقت للتفكير في هذه الحماقة.

ضحكهما جعلها تتخلى عن حذرها، رغم أنها تعلم أن ماك حلم النساء بشعره الأشقر الرائع وعينيه الزرقاوين المذهلتين وقامته المدمّرة.

كما أنها لاحظت التعبير البادي على وجهه والذي يعدها بتحقيق كل ما تطلبه منه... لم تستطع نظراتها أن تستقر على الأزرار. وعندما عاد بصرها إلى فمه، ليعود فيغرق في ذلك البحر الأزرق في عينيه، شعرت بانقباض شديد في داخلها. لم يكن لديها أيّ أمل في الخلاص منه قريباً، وشعرت بألم لم تشعر بمثله منذ سنوات.

- ربما من الأفضل ألاّ تخلع حذاءك، لأن انتعاله مجدداً سيكون صعباً جداً. من الأفضل أن نتوجه إلى البيت.

فقال ساخراً من ورائها: «ألم يقترح عليك أحد أن تعملي في التدريب على السلطة؟».

فردت عليه بمثل سخريته: «البذلة الرسمية لا تغرّني».

وتابعت سيرها في مرج يتألق اخضراراً بينما ماك في أثرها وملامحه الجميلة مركزة على مهمته الحالية... وهي العودة إلى بيت «ميتش» بأقل ضرر ممكن.

قالت تحدث نفسها بصوت مرتفع: «ما أجمل هذا الريف! روعته تحبس الأنفاس، ولا عجب أن يلهم الكثير من الشعراء والمؤلفين».

- يسرني استمتاعك به.

ووقف يلتقط أنفاسه، وينظر إلى تارا وهي تتابع سيرها فأدرك أن بإمكانه أن يؤلف قصيدة أو اثنتين في تناغم حركات جسدها الرشيق.

كان ماك يتمتع بلياقة جسدية عالية لأنه يمارس الرياضة بانتظام... لكن تارا تملك قدرة على الاحتمال لا تُصدّق حتى تُرى.

وتساءل عما إذا كان تدربها على رقص الباليه هو السبب.

كان يعلم أنها تمارس تمريناتها كل صباح قبل الذهاب إلى العمل. ولطالما كانت رشاقتها وليونتها تشعلان فيه الرغبة... وأطلق شتيمة هادئة لكن عنيفة وحدّق إلى الأرض محاولاً تمالك نفسه وتركيز أفكاره.

ونادته من بعيد: «لماذا توقفت؟ هل تؤلمك قدمك؟».

فرد عليها صائحاً: «كم هي المسافة الباقية؟»

- أظنها تستغرق ثلث ساعة أخرى.

وسحبت من جيبها خريطة مكرّشة وأخذت تتأملها، غافلة عن محاولات ماك لعدم إظهار إحباطه.

كانت تدرك أنه يعاني بعض الألم من حذائه الجديد، لكنها أملت أن يستمتع بعض الشيء بهذه الجولة الريفية الطويلة. على أيّ حال، وجودها خارج البيت ساعدها على مواجهة الحقيقة المذهلة لوجودها مع ماك وحدهما في عطلة كأي زوجين حقيقيين، بعد انفصالهما كل تلك السنوات...

أخذ يتمتم بضيق: «ثلث ساعة؟ كل دقيقة منها ستكون بمثابة عشر دقائق».

ولامس ذقنه الخشنة التي لم يكلف نفسه عناء حلقها ذلك الصباح، وهذا نادراً ما كان يحدث. وأدخل أصابع قدميه في الحذاء بحذر وكأنه يجرب عذابه.

- يمكنك أن تقوم بذلك! لا تقل لي إن رجلاً يمكنه أن يخضع غرفة اجتماعات مليئة بالمدراء بمجرد نظرة من هاتين العينين الزرقاوين الباردتين، لا يمكنه مواجهة بضعة يثور في أصابع قدمه.

أعادت الخريطة إلى جيبها، وكانت على وشك متابعة السير عندما أخذ ماك يعدو نحوها بسرعة، متجاهلاً الألم الحاد في قدمه.

منع الذهول تارا من التصرف، وبقيت تحدق إليه غير مصدقة وقد انقطعت أنفاسها حتى وصل إليها وأمسكها بقوة كيلا تقع، ثم مدّدها بحذر على العشب.

أنفاسه الحارة لفحت وجهها، وابتسم لها بخبث، ابتسامة القرصان لأسيرته... توهج وجهها بمزيج من السخط والرغبة من تصرف رجل

الكهف الغريب هذا.

- إذن، أنت مسرورة بتعذيبي، أليس كذلك؟

- أنا لا أعذب أحداً. هل هو ذنبي أنك من الغباء بحيث انتعلت حذاءً جديداً لنزهة على الأقدام؟

وتطاير من العينين الخضراوين الشرر غضباً، وحاولت أن تتخلص منه لكنها فشلت، فماك جدار من العضلات. قوته سحرتها... سحرتها وجذبتها بالرغم من أنها أقسمت على ألاّ تدع هذا الرجل يعبث بقلبها أو جسدها، مرة أخرى.

- كان من المفترض بأعمالك أن تلطّف من خشونتك وتجعلك ناعماً، يا ماك.

عجبت لقدرتها على أن تستمتع بتعذيب الآخرين، إذ تلاشت الابتسامة عن ملامح ماك الجذابة وتوتر فكه بشكل ينذر بالخطر.

- كلا، يا طفلتي. أنت هي الناعمة... كالحرير.

تكلم بهدوء... بهدوء بالغ إلى حد ظنت معه أنها تخيلّت ملاطفته القديمة لها... تلك الملاطفة التي كان يخصّها بها في اللحظات الحميمة واقشعرّ جلدها للذكرى واندفعت المشاعر في كيانها كحبل من نار ما جعلها تحبس أنفاسها. لم يلمسها منذ مدة طويلة... طويلة جداً... وها هي ذي الآن لا تفكر بسوى ذلك.

- كلا.

انطلقت هذه الكلمة من فمها من دون أن تعنيها، لكن شيئاً ما في داخلها كان يحاول أن يصونها من مزيد من ألم القلب، أن يجعلها تعقّل... وببطء، ابتعد ماك ووقف بحذر. وأحرقتها الخيبة كالحمّى، وبقيت للحظة مستلقية على العشب الطري، محدقة في السماء الزرقاء، متمنية الموت. ثم نهضت واقفة.

ألقت على ماك نظرة سريعة، ثم هزت كتفيها وابتدأت تسير مرة

أخرى وهي تقول: «من الأفضل أن نعود إلى البيت. يبدو أن السماء ستمطر».

فقال من خلفها: «أنت خبيرة بالأرصاد الجوية أيضاً».

بدت على شفتيها إبتسامة خفيفة. لم يفقد ماك حس الفكاهة على الأقل. وبعد المواجهة القصيرة بينهما على العشب، لم يضمر لها أي حقد.

كانت تارا في الحمام فيما توجّه ماك إلى غرفة الجلوس الفسيحة لينظر إلى البحر الذي يوحي اتساعه بالرهبة، وإلى الرمال والسماء. كان المشهد مختلفاً حقاً. شعر وكأن هذا المشهد يخترق أعماقه إلى مكان لم يكن يجرؤ غالباً على التفكير فيه، مكان الجروح العاطفية وآثارها، والآمال والأحلام، فشبك ذراعيه فوق صدره وتنهد. هل كان أحمق وهو يرجو أكثر من هذا؟ أن يحاول في هذا الوقت القصير أن يصلح أخطاء الماضي؟ أن يرجو أن تمنحه تارا فرصة أخرى؟ لقد أنجبا طفلاً معاً... أليس لهذا أيّ اعتبار؟ وعندما أخذ يفكر في الطفل الذي نما في أحشاء تارا لستة أشهر ثم مات بعدها... تذكر حلمه رغماً عنه، وعاوده صوت بكاء الطفل المتفجع على الفور فشعر بالألم يتعاظم في داخله قاسياً لا يرحم. وأخذ ماك يدق على صدره ليزيل الغصة التي تملكته فجأة ومن ثم اغرورقت عيناه بالدموع.

تملكه الغضب لهذا الشعور، ولعدم قدرته على التحكم فيه، هذه المقدرة التي كان يعتز بها دوماً، فخرج من الباب إلى الفناء. اتكأ على الجدار الحجري الذي يفصل المنزل عن الخضرة المحيطة به والتي تمتد حتى الرمال ومن ثم إلى البحر.

تنفس بعمق يهدئ نفسه ثم نظر بدهشة إلى السماء عندما شعر بقطرات المطر تنزل على وجهه. منذ دقائق فقط لم يكن قد لاحظ وجود أيّ غيمة. كانت تارا على حق، تلك الجريئة الماهرة. أخذ يفكر فيها

وفي جولتهما الصباحية وشعر بالحرارة تغمره. نبذ شعور اليأس الذي تملكه وعاد إلى البيت للاحتماء من المطر، الذي راح يهطل بقوة، ارتجف وهو يتجه إلى غرفة الجلوس التي لم ينس «ميتش» أن يضع فيها بعض قطع من الخشب للمدفأة التي سيحتاجانها الليلة بكل تأكيد.

- كيف حال قدمك؟

دخلت متمهلة وشبه ابتسامة على شفتيها الممتلئتين، فيما كانت تلف شعرها الأشقر بمنشفة بدت وكأنها عمامة بيضاء وقد ارتدت بنطلون جينز أبيض وقميصاً أزرق.

- مريعة، شكراً لك.

ونظر إلى قدميه الحافيتين، والبثور على أصابع قدميه وعاهد نفسه على أن يقطع حذاءه قبل أن يفكر في القيام بجولة أخرى طويلة في الريف.

سارت تارا إليه وانحنت تتفحص حالة قدميه بنفسها.

أعلنت بوجه مشرق: «حالهما ليس سيئاً جداً. ستعيش».

وسارت نحو أريكة فسيحة يعلوها عدد كبير من الوسائد المتعددة الألوان والأشكال. وبعد أن جلست بكل راحة، نزعت المنشفة عن رأسها ثم نفضت شعرها الرطب.

- هل هذا كل التعاطف الذي سأحصل عليه منك؟

- بالله عليك...

وأضافت وهي تتخلل شعرها الرطب بأصابعها وتنفض المنشفة: «الرجال كالأولاد الصغار! إذا استطعتم أن تتحمّلوا نصف ما علينا أن تحمله نحن النساء، لكان لديكم مبرّر للحصول على بعض العطف».

لسبب ما، لم يفهم كلماتها بالشكل الذي أرادته. وفكر في أنها على حق، فقد تحملت عذاب فقدانها طفل حملته ستة أشهر فإذا به يذهب فجأة. كما كان عليها أن تحتمل عذاب الولادة وهي تعلم أنها في

النهاية لن تحصل على طفل حي...

ألقت بالمنشفة على ذراع الأريكة مقطبة: «ماك؟ ماذا حدث؟»

بدا وكأنه رأى شبحاً، أو أنه وصل بأفكاره إلى حيث لم يشأ في الحقيقة أن يصل، وتسارعت وقات قلبها. سألها بجد بالغ: «هل أقمتم جنازة للطفل؟»

شعرت بصدمة، وتملكتها غصة وأخذت تحدق إلى يديها الموضوعتين على ركبتيها، مسمّرة نظرها على «المحبس» البلاتيني.

- سميته «غابرييل»، و... نعم. لقد أقمت له مراسم جنائزية صغيرة حضرتها أنا وعمتي واثنان من الأصدقاء فقط. كما وضعت شاهداً على الضريح أيضاً.

- هذا حسن، ربما يمكنني أن أزوره يوماً.

بدا له غريباً أن يتمكّن من النطق بالكلمات من دون أن يتهدج صوته وسار إلى المدفأة واتكأ على رفها الرخامي: «آسف لكل ما حدث. لم أكن أنوي الرحيل، لكن حينذاك، كانت الأمور قد وصلت إلى مرحلة تثير الجنون، كما تعلمين».

تناولت تارا المنشفة المبللة ووضعتها على ذراعها ثم نهضت واقفة وقد شحب وجهها: «تبعث على الجنون؟ بل قل كانت كجهنم! وكلانا يعلم ذلك. لعلك فعلت الصواب. فأنا كنت الحمقاء بيننا... الحالمة التي تتشبث بلا شيء. كنا نحن الاثنين تعيسين للغاية، فاتخذت أنت الخطوة اللازمة لإنهاء تعاستنا».

- لكن التعاسة لم تنته عند ذلك الحد أليس كذلك يا تارا؟ فقد كنت حاملاً ووحيدة، ثم مات الطفل.

وابتعد عن المدفأة وأخذ يذرع الغرفة شاعراً وكأن ساقيه أصبحتا فجأة بثقل الرصاص لا تريدان أن تحملاه. وقف عند النافذة الكبيرة، وأخذ يحدث إلى المشاهد بكآبة وعينين لا تريان.

- ألم تتحسّن أمورك بعد رحيلك؟

شكّل سؤالها صدمة كبرى له. أتراها تعتقد هذا حقاً؟ لقد افتقدتها كل خلية في كيانه. وفي الليل كان الأمر أسوأ إذ اعتاد أن يجدها بجانبه حين يستيقظ، وعندما لا يجدها يشعر بالحرمان. وبعد أن كان ينام جيداً بدأ يعاني من الأرق، فأخذ يلجأ إلى الحبوب المنوّمة ليحظى ببعض الراحة ليلاً ليتمكّن من مواجهة متطلبات النهار الطويل في العمل. أجاب وهو يصرف بأسنانه ويميل برأسه جانباً: «كلا. لم تتحسّن».

نطقت ملامحه بكل ما في قلبه، فشعرت وكأنها وقعت في الشرك. وتساءلت كيف يمكن لأشخاص أقسموا على أن يحبّوا بعضهم البعض أكثر من الحياة نفسها، أن يسمحوا بتدمير ذلك الحب.

شكّل جواب ماك مفاجأة لها. كانت قد أقنعت نفسها بأن حياته أصبحت أسهل وأقل تعقيداً بعد أن تركها. كانت تموت في اليوم مئة مرة وهي تتصور أن النساء أصبحن الآن قادرات على رؤيته متى شئن... هل سيرحب بهن؟ وهل سينسى الليالي الطويلة المحمومة التي أمضياها معاً بسهولة حالما يرى وجهاً جميلاً آخر؟ والآن، ها هو يخبرها بأنه هو أيضاً تألم. لم يهجرها من أجل امرأة أخرى بل حاول ببساطة، أن يجد طريقة ينهي بها وضعاً لم يعد محتملاً لأي منهما.

- أنا ذاهبة إلى غرفة النوم لأجفّف شعري. ما رأيك في أن نخرج الليلة؟ قد نجد مكاناً يمكننا أن نسمع فيه بعض الموسيقى؟ ما رأيك؟

استدار يواجهها، ولأنه يعرفها جيداً، لاحظ رجفة شفتها السفلى الخفيفة ما أنبأ بتوتر أعصابها. أتراها خائفة من أن يرفض غصن الزيتون الذي تحمله؟

ألا تعلم أنّ عدم حجزها على متن الطائرة التالية الذاهبة إلى الوطن

منحه فيضاً من الأمل ربما ليس لديه الحق في أن يشعر به؟

- أظنها فكرة جيدة. أقرب قرية ليست بعيدة، ولا بد أن فيها مكاناً عاماً أو اثنين. . . إنها ايرلندا.

- هذا حسن، اتفقنا إذن.

وتملكها السرور وهي ترى ابتسامة الموافقة على شفتيه، فبادلته ابتسامته ثم أسرعت خارجة من الغرفة.

كانت النار تهدر في المدفأة، فيما جلس ماك وتارا مرتاحين في ذلك المقهى التراثي الإيرلندي، تاركين الموسيقى تغمرهما.

عندما دخلا إلى المقهى تحولت إليهما أعين الزبائن بفضول، ولكن من دون تطفّل. أخذ النادل ذو الوجه العريض المتورد «مايك»، يمازح ماك، موجهاً ابتسامات استحسان عدة نحو تارا قبل أن يدعهما ليستقرا بجانب النار ويستمتعا بسهرتهما.

كان ثمة عازفان أحدهما شاب والآخر متقدم في السن، يعزفان على آلتيهما بحماسة واستمتاع ما جعل تارا تفكر في رقصها بشوق بالغ.

وسمع ماك تنهدها فنظر إليها قلقاً: «ماذا حدث لك؟»

نظرت إليه تتأمله بكنزته الزرقاء وسرواله الأسود وشعره الذي يلمع في وهج نار المدفأة. في السنوات الثلاث التي عاشا فيها معاً، لم يحدث قط أن رأته عفوياً وطبيعياً بهذا الشكل. فقد كان دوماً في العمل حيث يرتدي بذلات بالغة الأناقة مع قمصان فاخرة وربطات عنق حريرية وأحذية إيطالية غالية الثمن. لطالما شعرت تارا بأن هذه الملابس تحدد شخصيته إذ تضع ما يشبه الحاجز بينهما وتشعرها غالباً بعدم الجرأة على تجاوز الحدود بينهما. وغالباً ما كانت تشعر بالرغبة في أن تشعث شعره قبل خروجه إلى العمل في الصباح، أو تحلّ ربطة عنقه. . . لتجعله يتخلى عن ذلك التحفظ الصارم الذي يلتزم به. الوقت الوحيد الذي نجحت فيه في القيام بذلك هو لحظاتهما الحميمة.

احمر وجهها قليلاً وهي تفكر في ذلك كله. وأخذت رشفة من شرابها قبل أن تجيبه: «لا شيء، هذا جميل جداً. جعلتني الموسيقى أفكر في الرقص، وهذا كل ما في الأمر».

- لماذا هجرته؟ هل لأنك كنت حاملاً؟ ما كان لهذا أن يمنعك من التعليم، أليس كذلك؟ وأرجو ألاّ تقولي لي إن هذا ليس من شأني فأنا أريد أن أعلم.

- لقد فقدت قدرتي على التركيز، وأصبحت أعصابي متوترة. ألا تعلم أن الشخص لا يرقص إلا عندما يكون سعيداً؟ فيما كنت أنا أشعر بالفراغ وبأني مستنزفة. . . وازداد ذلك بعد ما حدث للطفل. . . غابرييل. فوجدت العمل مع عمتي أكثر أمناً، كما أنني لم أشأ أن أبقى في لندن.

- والآن؟

وأخذ رشفة من عصيره وهو يرقب جوابها.

- الآن؟ لن أعود إلى لندن ولو أعطيتني مليون دولار.

كان قد توقع هذا، لكن ردها أكّد ظنونه: «والتعليم؟»

- كنت أفكر في البحث عن عمل في المنطقة، فثمة الكثير من المدارس الخاصة هنا، والكثير من الفتيات اللواتي يرغب آباؤهن في أن يعلموهن رقص «الباليه». العثور على عمل كهذا ليس مشكلة.

- وماذا عن إنشاء مدرسة تحمل اسمك كما كنت تحلمين؟

- هذا يحتاج إلى وقت ومال، كما تعلم جيداً.

وأخذت تدلك ذراعيها وكأنها تعبّر بذلك عن ضيقها من الحديث في هذا الموضوع.

- لماذا لم تستلمي الشيكين اللذين أرسلتهما لك؟

وكان قد أرسل لها شيكين، لأنه وبعد ستة أشهر من ارساله الشيك الأول، اكتشف أنها لم تعبأ باستلامه، فأرسل الثاني الذي لاقى المصير

نفسه، ما أزعجه للغاية.

– لم أشأ أن أستلم المال الذي أرسله إليّ لتريح ضميرك. هذا هو السبب.

كان وجهها متوهجاً بفعل حرارة نار المدفأة. وابتلعت غضبها المفاجئ ثم هزت رأسها: «آسفة. ما كان لي أن أقول هذا. لعلك كنت تحاول أن تفعل ما تراه صائباً».

– نعم. أنا أعرف (دائماً) كيف أقوم بالعمل الصائب. لو قمت بالعمل الصائب منذ البداية، لما وقعنا في هذه الورطة المريعة.

انتفض قلب تارا للألم والإحباط اللذين لمستهما في صوته. بدا واضحاً أنه يبذل جهده لكي يكفّر عما فعل، فيما لم تحاول هي حتى أن تقابله في منتصف الطريق، وحتى عندما كانت تتعب حقاً من اللوم، كانت أفعالها تعكس ذلك. إن ماك يستحق بعض الراحة فيوماً ما كان هذا الرجل يمثل عالمها كله. وإذا نسي هو ذلك فهو لم تنسه.

– لِمَ لا نصغي إلى الموسيقى؟ بل لِمَ لا نرقص؟

وارتجف فمها قليلاً عندما أنهت كلامها، لكنها وقفت قبل أن يظهر دهشته. و عندما أمسكت بيده تجذبه ليقف كان لا يزال مذهولاً.

همست في أذنه: «لا تظهر مثل هذا القلق. هيا».

لم يستطع أن يمنع الابتسامة العريضة التي ارتسمت على شفتيه وهو يأخذها بين ذراعيه برفق وخبرة وكأنه يفعل هذا دوماً. راح قلبه يخفق بقوة وسرعة، لشدة تلهّفه إلى معانقتها بهذا الشكل منذ رآها في المتحف. وها هي الآن معه، يشعر بنعومة شعرها الأشقر تحت ذقنه، ومرونة جسدها قرب جسده وخطر له أن هذه هي إحدى تلك اللحظات الرائعة التي يمنحها الخالق للبشر المحظوظين.

وعندما أخذ يقودها في أنحاء الغرفة، تمتمت برقة: «هذا ليس سيئاً».

راحا يرقصان على أنغام أغنية حزينة ثم على أنغام أغنية (فتى المدينة).

رمقها بنظرة ملتهبة ثم شدّها إليه بشكل متملك، ووضع شفتيه على أذنها هامساً: «ثمة أمور أخرى يمكن لفتى المدينة أن يفعلها... فقط، إذا ما منحته فرصة لذلك».

www.elromancia.com

٧ - حب لم يمت

وقف ماك أمام المدفأة متأملاً النار المشتعلة.

في الخارج كانت الريح تعصف والرعد يدوي فيما مياه البحر تتدافع على الشاطئ والأمواج تلعق الرمال البيضاء.

وتناهى إليه من المطبخ صوت تارا التي راحت تدندن وهي تعد شراب الكاكاو الساخن. ولأول مرة منذ فترة طويلة، شعر بالسكينة بشكل غريب. ورغم انه يعلم أن شعوره هذا لن يدوم، وأن الطريق إلى الصلح مع زوجته الجميلة وعرة، إلاّ أنه حدّث نفسه بأن عليه أن يستمتع باللحظة التي يعيشها. فالحياة ليست سوى تعاقب لحظات، وما من شيء يدوم فيها رغم تمنيه ذلك.

- تبدو غارقاً في التأمل في وقفتك تلك. ما الأمر؟

كانت خطواتها من الخفة بحيث لم يسمع وقعها. حدق إليها وهي تحمل الشراب بحذر فشعر بجمالها البريء يهزه من الأعماق. رقصهما المفاجئ معاً زاد من رغبته فيها، لكنه جاهد كي يخفف من هذه المشاعر البدائية وحاول التقدم بشيء من الحذر. كلامها هذا جعله يبتسم: «لطالما كان خيالك واسعاً».

ناولته شرابه ثم ابتعدت قبل أن يرى احمرار وجهها.

كلماته هذه جعلتها تفكر بتلك الليالي الحارة، وذلك لحب الجارف الذي تبادلاه ذات مرة... ذلك الحب الذي ما زالت تتوق إليه رغم أنها أقسمت ألاّ تنهار أمام الإنجذاب القوي الذي ما زالت تشعر به نحو

زوجها.

أجابت: «كنت بحاجة إلى ما يسليني لتمضية الوقت في الليالي الطويلة الموحشة التي غبت فيها عن البيت».

وضعت كوب الشراب على الطاولة ثم جلست على الأريكة.

- أتظنين حقاً أنني كنت أفضّل العمل على وجودي معك؟ حينذاك، كنت مضطراً في أغلب الأوقات إلى التواجد في مكان عملي حيث ثمة أمور كثيرة هامة تتطلب اهتمامي وعنايتي. الكلام عن أنّ رب العمل لا يعمل كثيراً هو كلام فارغ... فالعمل يزداد لأن الكل يعتمد عادة على رب العمل. على أيّ حال، أصبح العمل أسهل الآن. وكما سبق وقلت لك، لديّ موظفون أكفاء يعملون معي، ويمكنني الاعتماد عليهم. لم أعد بحاجة إلى الذهاب يومياً إلى العمل إذا لم أشأ ذلك.

- أنت محظوظ.

في قراءتها بين السطور، لاحظت أنها ما زالت تلمس التزاماً قوياً منه نحو عمله. وإذا كانت هذه المشكلة لا تزال قائمة، فلا سبيل لأن تفكر في العودة إليه. وانقبض قلبها لهذه الفكرة.

- هل هذا هو الخط الذي ستتبعينه طوال الوقت؟ خط الخصام والعداء؟

فأجابت بعنف: «كلا بالطبع. ولكن إذا كنت جاداً في رغبتك في أن نعود إلى بعضنا البعض، فما هي التسوية التي تريدها يا ماك؟ لطالما كانت الساعات التي تمضيها في العمل هي المشكلة الأساسية بيننا، وما فائدة الزواج إذا كنا نكاد لا نرى بعضنا؟».

- ستكون ساعات عملي أقل وأكثر مرونة. وسنتمكن من أخذ المزيد من الإجازات...

- لم نأخذ سوى إجازة واحدة في سنوات زواجنا الثلاث. حتى حينذاك، عدت أنت بالطائرة إلى لندن بعد ثلاثة أيام. كنا في «بالي»

وهي إحدى أجمل مدن العالم. . . وكنت بمفردي.

- ليتك تعلمين كم ندمت على ذلك.

وهز رأسه وعاد يتأمل نار المدفأة. التقط قضيب تحريك النار الثقيل وأخذ يحرك الجمر المتوهج: «يمكنني أن أعدك بألاّ أدع هذا يحدث مرة أخرى أبداً».

أعاد القضيب إلى مكانه والتفت إلى تارا مضيفاً: «أريد أن أكون زوجاً صالحاً لك يا تارا، وأباً صالحاً لأولادنا».

فشعرت بغصة: «الحديث عن هذا ما زال مبكراً».

- لماذا؟

- ما زال من الصعب عليّ مواجهة فكرة العودة إلى بعضنا البعض فكيف بفكرة إنجاب الأولاد.

سألها بلطف: «هل أنت خائفة؟»

- من ماذا؟

لكن خفقان قلبها تسارع بعنف لفكرة الحمل بطفل ماك مرة أخرى. وشعرت بدوار لهذا الشوق المفاجئ.

- من الحمل.

ما حدث لطفلهما الأول لم يأتيا على ذكره لكنهما لن يتمكّنا من محوه فهو باقٍ أبداً، وسيلازمهما دوماً وسيبقيان يتساءلان عما كان يمكن أن يحصل.

وقفت تارا وقد تملكها ضيق وتوتر: «ماذا تظن؟».

- سأبقى هذه المرة معك، طوال الوقت.

واقترب منها ببطء، وعلى وجهه الجميل ابتسامة حنون: «سنحضر لك أفضل الأطباء ونوليك أفضل عناية. لن ينقصك شيء».

كانت متشوّقة إلى أن يحتضنها، لكنها لن تقوم بالخطوة الأولى. حقيقة أنه هجرها ذات مرة لم تفارق ذهنها، ورفضه لها كان أشبه بمثابة

جرح ما زالت تنزف في قلبها. كانت بحاجة لأن يثبت لها أنه يعني ما يقوله عن رغبته في أن يعيدا التجربة، وأن هذه الرغبة ليست مجرد نزوة عابرة أثارها الشعور بالذنب لفقدان الطفل. كما أنه لم يذكر شيئاً عن الحب حتى الآن.

- لا يمكنني العيش مجدداً في لندن. أتعلم هذا؟

ونظرت إليه بقلق، فمد يده إلى شعرها يلوي خصلة منه على إصبعه ما جعلها تشعر بالحرارة تسري في جسمها، ثم قال والابتسامة لا تزال على وجهه: «أنا لا أمانع في الانتقال إلى حيث تعيشين، إذا كان هذا ما تريدينه. وإذا احتجت الذهاب إلى مكتبي، فيمكنني الذهاب والعودة في يوم وحد. يمكننا أن نبحث عن منزل في مكان ما مع حديقة مناسبة ليلعب فيها الأولاد».

كانت كلماته أشبه برذاذ المطر على روحها المجدبة. استدارت قليلاً نحوه، وشفتاها ترتجفان فيما حاولت جهدها لئلا تدع دموعها تسيل. وسألها بصوت منخفض: «هل تسمحين لي بأن أضمك إليّ؟ أضمك فقط».

ألقت تارا بنفسها بين ذراعيه من دون أن تنطق بكلمة. ضمها إلى صدره، مسنداً رأسها بيد، ومطوقاً خصرها بالأخرى. كانت تفوح منها عطور الأزهار والشمس والمطر وكل ما منحته الطبيعة مجاناً وبشكل معجزة. وتذكر ماك عطر إميلي المفضل الذي كان مسكراً ولا يقاوم تقريباً، فأدرك على الفور من التي تفتنه أكثر. إنها هذه المرأة التي بين ذراعيه الآن، والتي لا تلجأ إلى الخداع. لقد فتنته تارا منذ اللحظة الأولى التي وقعت عيناه عليها، في قطار الأنفاق المزدحم في لندن. حينذاك، بدت مستغرقة في مطالعة مجلة رقص، لكنها لم تكن كذلك في الواقع، إذ راحت تختلس النظر إليه طيلة الطريق من «إكسفورد سيركس» إلى «فيكتوريا». وعندما نزلا من القطار وتبعها على الرصيف

فاجأها بسؤاله عن الطعام المفضل لديها فالتفتت إليه بحركة آلية وسألته (لماذا؟) باللغة الإيطالية وانتهى به الأمر إلى أن أقنعها بتناول العشاء معه تلك الليلة في أفضل مطعم إيطالي يعرفه في لندن. وعندما وافقت، أعطاها بطاقة عمله لتتأكد من أنه لم يكذب في ما أخبرها به عن شخصيته، ثم عاد إلى الرصيف وقد تملكته البهجة لأنه كان واثقاً من أنها ستوافيه إلى موعدهما في المطعم، فالانجذاب بينهما صارخ.

* * *

لم يكن ماك يجد حالياً ما ينصح به نفسه، إذ ظهر التناقض جلياً بين جسده وعقله، ضغط شفتيه على شعرها، مبتهجاً بتجاوبها بين ذراعيه.

شعر بها ترتجف. وإذ لم يستطع أن يتصرف بأي شكل آخر، حدق بنهم في عينيها الخضراوين وأهدابها الجميلة الداكنة الشقرة، ثم قال بصوت أجش: «لم تفتر رغبتي فيك قط».

ارتجفت مرة أخرى لكنها لم تحاول أن تبتعد عنه: «إننا نحيد عن الموضوع. لم نقرر شيئاً بعد وأنا ما زلت... ما زلت بحاجة إلى وقت».

فقال والنار تلتهب في عينيه: «لكنني أعبّر عن مشاعري وحسب».

وكما سبق وفعل هذا الصباح أثناء نزهتهما في المروج الخضراء، اقترب منها بشكل خطير فتجاوب جسدها معه. وضعت يدها على رقبته والتصقت به ما أعاد إليها حفنة من الذكريات المثيرة فاستسلمت عن طيب خاطر للمشاعر التي تحفل بها تلك الذكريات. كان ماك، وما زال، الرجل الوحيد الذي عرفته وهي لا تستطيع أن تتصور رجلاً آخر يمكنه أن يوقظ مشاعرها مثله. إنه الإثارة مجسّدة، كما خطر لها عندما اشتبكت نظراتهما لأول مرة في قطار الأنفاق... وكانت غريزتها على صواب.

- كيف كانت علاقتك بإميلي؟

هذا السؤال جعله يشعر وكأنه تعرى من ثيابه وغاص في بحيرة مياهها بالغة البرودة. أخذ قلبه يخفق بسرعة، فترك تارا وتراجع إلى الخلف، وقد بدا الغضب البالغ على وجهه: «أنت تجيدين فعلاً تعكير المزاج. هل تفعلين هذا مع كل الرجال في حياتك، أم انك تحتفظين بهذا العذاب بالذات لي؟».

تخللت تارا شعرها بأصابعها بألم ونظرت إليه بذعر: «لم يكن في حياتي رجل بعدك»...

سكتت وقد خنقتها غصة، وحاولت بلهفة أن تجمع دفاعاتها المنهارة. لقد خرج هذا السؤال عن صديقته السابقة من بين شفتيها من دون تفكير ما جعلها تفاجأ به.

لكن ما كانت لتطرح عليه مثل هذا السؤال لو لم يكن موجوداً في عقلها الباطن. ولم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل عن شكل إميلي عنه؟ وهل انهارت عندما لم تنجح علاقتها بماك كما تحطمت هي عندما هجرها؟

ورغم غضب ماك البالغ منها إلا أن جوابها سرّه. لم يكن يدري كيف سيواجه فكرة أنها عرفت رجلاً آخر.

- لقد عاشت معي ستة أشهر. علاقتنا الحميمة لم تكن كذلك في أفضل الأحوال، وغير موجودة في أسوأها. كانت إميلي صعبة الإرضاء، متأنقة في ملبسها وطعامها، ولا تحب أن تكدح في الحياة.

إشارته الوضيعة جعلتها تحمر خجلاً، وشتمت نفسها لتعكير مزاجه.

ما الذي كانت تفكر فيه؟

- آسفة... لهذا السؤال.

- هل أنت آسفة لأن حياتي الغرامية لم تكن كما يجب، أم آسفة لأنها لم تستمتع هي بها؟

زاد توهج وجهها. وفجأة، شعرت وكأن آلاف الكاميرات موجهة نحوها. . . ولم تستطع أن تواجه نظراته.

- أنت غاضب.

وجاء جوابه كلسع السوط: «نعم أنا غاضب. لديك كل الحق في الشعور بالإضطهاد لما فعلته بك، يا تارا، ولكن لا تبالغي في تعذيبي. دعي النار تخمد. سأنتظر حتى تخمد تقريباً لم أذهب إلى النوم».

وحمل فنجان شرابه الذي لم يلمسه إلى المطبخ، تاركاً تارا تقف هناك، حائرة. ليتها تستطيع العودة إلى اللحظة التي سبقت طرحها لذلك السؤال الأحمق عن صديقته السابقة.

كانت تريده إلى حدّ مؤلم ما جعلها تتلوى في ذلك السرير المزدوج الفسيح الذي تنام فيه. وعذّبتها أحلام راودتها عن ماك فدفعت عنها الغطاء واستوت في جلستها وهي تدسّ أصابعها في شعرها، محدقة في ضوء الفجر الضبابي المتسرّب من خلال الستائر. تناولت عباءتها الحريرية الخضراء ولبستها ثم خرجت إلى الممر حافية القدمين. دقت الساعة في مكان ما، وفي آخر الطريق إلى الردهة لاح ضوء أحمر ناعم أمام صورة «القلب المقدس» الشهير الذي أخبرتها عمتها ذات مرة أنّ ما من بيت في ايرلندا يخلو منه.

أخذت نفساً عميقاً مرتجفاً ثم حاولت أن تتذكر مكان غرفة ماك. كان في الممشى أربعة أبواب متن ضمنها باب غرفتها، اثنان إلى اليمين واثنان إلى اليسار. استجمعت شجاعتها ونظرت متلصصة عبر ثلاثة منها واعتصر قلبها عندما لم تجد ماك في أي منها.

هل كان من الغضب بحيث قرر أن يستقل الطائرة إلى لندن من دونها؟ لكنه لن يفعل شيئاً كهذا بالطبع. . . وشلّتها المخاوف والشكوك لحظة سارت بعدها ببطء إلى غرفة الجلوس. جمدت مكانها على الفور حين رأت جسده الطويل القوي مكوّماً على الأريكة. يبدو أنه أحضر

معه غطاء من غرفته لكنه تكوّم الآن أمامه على الأرض. وارتجفت تارا بعنف ليس من برودة الغرفة البالغة وحسب، ثم تقدمت منه.

كان لا يزال يرتدي سرواله وكنزته، فوقفت تحدق في وجهه الوسيم النائم، وقد انزاح شعره عن جبهته. وتأملت ارتفاع جبينه والخطوط الحديثة الظهور بجانب عينيه، وتملكها الألم حين خطر لها أنه يجهد نفسه في العمل لساعات طويلة من دون استراحة، وتمنت لو أنه لا يجهد نفسه بهذا الشكل. إنه بحاجة إلى الاسترخاء. إن عمله مزدهر، وهو ليس بحاجة لأن يثبت شيئاً لأي إنسان. . . لاسيّما هي. . . هي التي لطالما كانت قليلة الصبر على طموحه وجهوده في العمل.

والغريب أنها تمكنت الآن من أن ترى ذلك بوضوح، وكأن ثمة من أضاء مصباحاً في ذهنها.

ارتجفت يداها قليلاً، وتشبثت بقماش عباءتها وكأنها تريد أن تمنع نفسها من مدّ يدها لتلمس ماك.

ولكن. . . كم تتلهف لأن تلمسها! لعلها تبدو باردة في الظاهر لكنها تحترق في داخلها.

وأخيراً، وفيما راح قلبها يخفق بعنف، مدت يدها ووضعتها على صدره. فتح ماك عينيه، ومن دون أن ينطق بكلمة أمسك بمعصمها وجذبها إليه، ففقدت توازنها ووقعت عليه وهي تشهق مصدومة.

راح يعانقها حتى عجزت عن مقاومة مشاعرها التي أخذت تتعاظم في كيانها فاستسلمت لذلك الحريق الهائل الذي اكتسحهما معاً.

تراجعت لحظة لتنظر إليه وقد تشعث شعرها قليلاً والتمعت عيناها الخضراوان، وعندما احتج على ذلك وضعت إصبعها على شفتيه وكأنها تتوسل إليه أن يسكت، وأن يشعر فقط.

ودبّت الحياة في الذكريات التي كانت تارا تحتفظ بها في قلبها. . . كانا جائعين إلى بعضهما البعض، لا يشبعان أبداً. وأعادت تركيزها إلى

الحاضر بحزم، فتنهدت وارتسمت على فمه ابتسامة مدمّرة جعلت تارا تشعر وكأنها تغرق في ضوء القمر مع المشاعر المحمومة، لكنها تجرأت على أن ترد له ابتسامته وهي تقول بنعومة لا إرادية: «أتذكرت أنك كنت تحب أن تستيقظ من النوم بهذا الشكل».

- عشرة على عشرة لهذا الجهد، يا سيدة سيمونسين.

تكلم بصوت أجش، مدركاً أن مناداته لها باسمه، يجعله واثقاً من أنها تنتمي إليه، وإليه وحده...

كان صوته أبح وهو يتابع: «وإذا كنت تفكرين في الهرب مني في أي وقت قريب... فراجعي أفكارك، إذ لدي خطة لك».

- خطة؟

وتسارعت خفقات قلبها وهي تحدق في عينيه، فقال مداعباً: «نعم، خطة، وقد تبقينا هنا طوال فترة الصباح».

سألته بابتسامة مرتعشة: «هل يبدو عليّ وكأنني سوف أهرب؟».

في ما بعد، نزلت تارا إلى الشاطئ تاركة ماك يطالع كتاباً يحتوي على وصفات وجده بين كتب كثيرة على رف في المطبخ. وقد أدهشها وأثار فضولها عندما قال إنه سيجرب إحدى وصفات الطعام للغداء.

أمسكت بشدة بالكنزة السميكة الكبيرة الحجم التي استعارتها من ماك... وأخذت تشتم رائحته وارتجفت بهجة. لقد مضى وقت طويل منذ عاشا لحظات حميمة بهذا الشكل.

كان ماك على حق، فالحريق الذي اشتعل بينهما لم يكن رغبة جسدية وحسب... بل أبعد من هذا بكثير، حتى لو لم يعترف هو بحبه لها.

التفتت تنظر إلى البيت القائم على تلة، وقلبها يخفق وهي تفكر في العيش مع ماك مرة أخرى. هل كان جاداً عندما قال إنه سيبحث عن بيت في مدينتها الصغيرة؟ وهل يمكن لسوق مدينتها الصغيرة أن يكفي

زوجها الذي ترعرع في المدن الكبرى؟ وهل سيسأم بسرعة من العزلة حيث سيعيش معها؟ أو بالأحرى، هل سيسأم منها هي؟

وهل يمكنها أن تجازف وتعرّض قلبها للتحطم مرة أخرى إذا ما رحل، رغم قولها لعمتها إن ذلك مستحيل لأن قلبها ما زال محطماً من المرة الأولى؟

وزعق نورس فوق رأسها، محولاً انتباهها.

ظللت عينيها بيدها ونظرت نحو السماء، شاعرة برغبة عميقة لا يمكن تفسيرها، رغبة تتعلق بالحرية. ماذا يقول المثل؟ إذا أحببت شخصاً فامنحه الحرية!

هل كان لتارا الحق في محاولة الحدّ من طموحه؟ من مشاعره المحمومة؟ لو كانت تحبه حقاً لما حاولت أن تتحكم في رغبته بإنجاح عمله. صحيح أنها غالباً ما كانت تحتاجه فلا تجده، لأن عمله يأخذ وقته كله، لكنها هي أيضاً لم تكن موجودة دوماً عند حاجته إليها.

وصلتهم دعوات لا تحصى، بما في ذلك حفلتان لتكريم شركة زوجها ومنحها جائزة، لكنها كانت ترفض مرافقته مفضلة البقاء في البيت وحدها عابسة مستاءة، شاعرة بالاضطهاد.

وخفضت نظراتها لتحدق إلى الرمال البيضاء تحت قدميها. وهب نسيم قوي من البحر مشعثاً شعرها، فأبعدته عن عينيها وهي تفكر في أنها مشوشة الذهن حالياً، وأن كل ما يمكنها أن تفعله هو أن تأخذ الأمور بروية.

أخذت تعبث بالمحبس في إصبعها. لا تعلم إذا ما كانت هذه الإجازة ستؤدي إلى عودتهما إلى بعضهما البعض، لكنها واثقة من أمر واحد وهو أن حبها لماك لم ينقص ذرة واحدة منذ انفصالهما. وهذا هو السبب الوحيد الذي منعها من أن تطلب الطلاق.

٨ - وعود... مجرد وعود

وجد ماك صعوبة في البقاء مستيقظاً، ولم تكن حرارة المدفأة فقط هي السبب في ذلك. مرت عليه سنوات حُرم فيها من النوم بسبب متطلبات عمله، حيث كانت الليالي تمتد حتى قبيل الفجر، يمضيها منكباً على العمل على الحملات الإعلانية، محاولاً الخروج بأفكار غير عادية تسحر الزبون، فضلاً عن التفكير في حلول لمشاكل الموظفين العادية والإرهاق الناجم عن إدارته عمله بنفسه.. وقد وصلت به الأمور إلى حدّ أنه كاد يعتقد أن الشعور بالتعب والاستنزاف أمر طبيعي.

تثاءب ومدّ ساقيه على الأريكة. ومن مكان ما في المنزل، تصاعد صوت لحن لم يميز مؤلفه لكنه كان يعلم أن تارا اعتادت أن تستعين بالموسيقى حين تتدرب على الرقص. وابتسم وهو يتذكر كيف كانت تستاء عندما يطلب منها أن يجلس وينظر إليها. فكلاهما يعلم أن هذه ليس فكرة حسنة، إذ إنّ ملابس الرقص الضيقة تبرز طول ساقيها وجمالهما، كما أن التمارين تحمل من الإغراء ما لا يستطيع ماك أن يتحمله. لكنه اعتاد أن يشغّل مخيّلته الخصبة. كيف بلغ به الغباء حد الاعتقاد بأن امرأة مثل إميلي دوفال يمكن أن تشبع مشاعر محمومة كمشاعره... مشاعر لا يمكن أن يماثلها سوى مشاعر امرأة مثل تارا؟ لو أن والده لم يمت بذلك الشكل غير المتوقّع، فيتملكه الذعر لتجاوزه الثلاثين من العمر من دون أن يرزق بأولاد، لما اندفع بذلك الشكل الأعمى والبالغ الغباء للزواج من مثل تلك المرأة. صحيح أنها تترك

طباعاً جيداً على زبائنه وقد لاحظ ذلك عندما أخذها مرة على العشاء، لكن بعضهم كان سطحياً مثلها، لا يهمه سوى المركز الاجتماعي، والمهنة، والسيارات، والبيوت والملابس فيما يتناسون ما هو أهم في الحياة، كالرفيق المحب، والبيت والأولاد. الأمور التي يتلهف إليها ماك الآن من كل قلبه. وتساءل إن كانت تارا ستحمل بسرعة وحدّث نفسه بأن الفرصة متاحة الآن لذلك ما داما لم يستعملا أيّ موانع للحمل.

وعندما رن الهاتف فجأة، نظر إليه مصدوماً وكأنه قنبلة موقوتة ثم وقف ليجيب كارهاً.

كان وجه تارا متوهجاً والعرق يتصبب منها حين أطلّت من الباب في طريقها إلى الحمام. عندما فتحت الباب سمعته يتكلم.

ومضت ثوان قبل أن تدرك أنه يتحدث في الهاتف إذ أخبرها أن لا أحد يعرف مكانهما، وقطبت جبينها. لعل الرقم خطأ! وعندما دخلت إلى الغرفة، التفت ماك إليها والألم بادٍ على ملامحه فأدركت أن الأمر ليس كذلك.

وبعد أن وضع السماعة، مضت لحظ من دون أن ينطق بكلمة، واكتفى بالوقوف بجانب الهاتف ببساطة وهو يدعك رقبته وكأنها تؤلمه. انقبض قلب تارا وسألته بصوت عالٍ في الغرفة الفسيحة الصامتة: «من المتكلم؟».

- ميتش وليامز.
- صديقك صاحب البيت؟
- نعم، هو.

إنه يعلم طبعاً بوجود ماك هنا... واسترخت كتفاها بارتياح.

- ميتش هو نائبي، وهو...

وتملكها الشك على الفور، ونظرت إليه نظرة اتهام: «أتعني أنه

يعمل معك؟ كان نائبك غراهام راليت. . . فماذا حدث له؟»

- هاجر إلى أسبانيا.

- لم يستطع أن يجاريك، أليس كذلك؟

- شيء من هذا القبيل.

- المخابرة تتعلق بالعمل، أليس كذلك؟ أيريدونك أن تعود؟

- ثمة مشكلة. . .

لم يستطع أن يخفي التوتر من صوته. ونظر إليها محاولاً أن يولي اهتماماً كبيراً لمظهرها الرائع في ملابس التدريب الضيقة، ثم تابع يقول: «أحد أهم زبائننا يهدد برفع دعوى قضائية إلا إذا ذهبت إليه بنفسي لأسترضيه. لو كان الوضع مختلفاً لطلبت من ميتش أن يعالج الأمر. أقسم لك. كل ما أنا بحاجة إليه هو أن أقابله في فندقه لبضع ساعات. . . إذا أخذت طائرة في الصباح، فيمكنني أن أعود غداً مساء».

- ولكننا وصلنا لتوّنا إلى هنا!

وتملكها الغضب وخيبة الأمل لقطع هذه الإجازة فسحبت المنشفة من حول رقبتها وضغطتها على جبينها.

قالت متظاهرة بمرح وعدم اهتمام لم تكن تشعر بهما: «اتصل إذن بشركة الطيران. المعذرة، أريد أن استحم».

لم يكن هذا عادلاً! بدأت تفتقده منذ الآن وها هو عمله يدمر مجدداً فرصة قد تسنح لهما للعودة إلى بعضهما البعض.

- تارا، انتظري!

لكنها تجاهلته وأسرعت خارجة من الغرفة.

* * *

وفي الصباح التالي، ارتدت سترتها العاجية اللون المصنوعة من صوف الغنم، وأخذت تنظر إلى ماك وهو يأخذ تذكرة السفر من مكتب

السفريات، وقد حرصت كل الحرص على أن تتحكم في أعصابها. شعرت بخيبة أمل، ولم تفارقها الهواجس، فقد يغيب لأكثر من يوم واحد كما أكّد لها، بل لعله لن يعود أبداً بحسب تجربتها السابقة.

- أمامنا عشر دقائق قبل دخولي قاعة المسافرين فدعينا نجلس.

وعندما جلسا، لم تستطع أن تنظر إليه، بل أخذت نظراتها تتنقّل بين الشاشات التي تعلن مواعيد الرحلات.

- تارا؟

- ماذا؟

ونظرت إليه بفروغ صبر، شاعرة بقلبها يخفق بشدة لرؤية ملامحه الإسكندينافية المنحوتة، وتينك العينين الزرقاوين اللتين ضيعتاها. لماذا نظرت إلى أهدابه الكثيفة هذه التي تظلل عينيه الرائعتين في هذا الوقت بالذات؟ لماذا خفق قلبها سريعاً عندما احتكت بها سهواً كتفاه العريضتان القويتان؟

- ستكون الأمور على ما يرام. ثقي بي.

فقالت ودموعها على وشك الانهمار: «أحقاً؟ ألا تظن أن ثمة من لا يحبنا في العمل؟».

فابتسم وجذب يدها ووضعها على ركبته: «بل أظن أن ثمة من يحاول المستحيل لإصلاح الأمور، ماذا حدث لتفاؤلك المشهور؟».

فحدقت إليه بقوة: «لقد فقدته ليلة رحيلك، ألم تعلم ذلك؟».

شعر بألم مفاجئ في صدره لكنه أمسك بيدها الصغيرة: «لم أقصد إيذاءك. ربما كان هذا أسوأ قرار اتخذته في حياتي. إنني أدرك هذا الآن».

- عد بسرعة وحسب. . . أرجوك.

وسالت دمعة على خدها فمسحتها بسرعة كيلا يراها أحد.

- أعدك بذلك. سأقابل الزبون وأسوّي الأمر معه ثم أستقلّ أول

طائرة عائداً حالما يمكنني ذلك. لقد أخذت رقم هاتف ميتش وسأتصل بك حالما أعرف موعد عودتي. هل ستستقبلينني في المطار؟

أومأت وهي تخرج مفاتيح السيارة المستأجرة وتحركها أمامه: «ستضطر لأن تسير على قدميك، إذا لم أستقبلك. خمسة وعشرين ميلاً في الظلام... وربما لن تصل إلى البيت قبل عيد الميلاد».

ابتسم فشعرت وكأن الشمس أشرقت... يا إلهي! ما أعظم ما تفعله بها مجرد ابتسامة منه!... أمضت معظم النهار قرب البيت، مصغية إلى الراديو لتسلي... أصغت بسرور إلى مجموعة من الأغاني الايرلندية، شاعرة بالراحة لسماعها الأنغام العاطفية المشهورة. لم يفارق ماك ذهنها أبداً فحاولت أن تشغل نفسها عن شوقها إليه بأعمال المنزل.

وبعد أن نظفت الغرف كلها ومسحت الغبار وجعلت المطبخ يلمع، ركّزت على الطهي، فأعدت نوعاً جديداً من اليخنة، ثم وضعت القدر الضخم على النار الهادئة بينما أخذت تعدّ فطيرة فاكهة.

وعندما أنهت أعمال المطبخ، نظّفت أرض المطبخ للمرة الثانية.

حلّت الساعة الثالثة عصراً، ولم تسمع خبراً عن ماك.

وسارت إلى النافذة العريضة في غرفة الجلوس وأخذت تحدّق في الأمواج البلورية التي تلعق الشاطئ. شبكت ذراعيها على صدرها، ثم التفتت تتأمل الهاتف الصامت. وبعد لحظات، ارتدت المعطف الواقي من المطر، وانتعلت حذاء مناسباً ثم توجهت إلى الشاطئ، وحالما ملأ هواء البحر النقي رئتيها شعرت بكل توتر النهار يتسرب من جسدها. لن تغيب أكثر من ساعة، ولا بد أن يتصل ماك بعد ذلك.

سارت وقد غاصت قدماها قليلاً في الرمال الناعمة.

حلّت الساعة الثامنة مساءً من دون أن يتصل ماك. وانقبض قلبها، وأرغمت نفسها على تناول القليل من اليخنة التي طهتها، ثم فتحت التلفزيون لتلهي نفسها عما يتملكها من كآبة. وأخيراً، وبعد أن فرغ

صبرها من البرنامج الذي اختارته وتملكها القلق على ماك، تناولت الهاتف وطلبت رقم عمتها. وبعد أن حيتها... قالت بيث: «كنت أتساءل متى ستتصلين بي؟ كيف تسير الأمور؟ هل الانسجام بينكما جيد؟».

تذكرت مشاعرهما المحمومة، واحمر وجهها: «نحن منسجمان تماماً. وشكراً لك، فهذه البلاد رائعة الجمال، وهي خضراء للغاية، والبيت الذي نقيم فيه يشرف على أجمل المناظر».

- أعرف هذا، يا حبيبتي، فأصل جديك من «كونتي كورك» هل نسيت؟ ما زال لدي أولاد عم في القرية التي نشأ فيها. ولكن ما يهمني أكثر هو أمركما، أنت وماك. لست واثقة من حكمة وجودك معه وحدكما... لا سيّما حالياً.

لم تجد تارا فائدة من زيادة قلق عمتها ومن إعلامها بأن ماك اضطر للسفر إلى لندن بسبب عمله، كما لم تحاول أن تفكر في السبب الذي جعلها فجأة تحميه. وتنهدت: «أنت من اقترح أن نتحدّث ونتفاهم، هل نسيت؟».

- ما الذي تتحدثان عنه بالضبط؟ هل ما زال موضوع الطلاق يلوح في الأفق؟

- أتعلمين أنه كان بإمكانك أن تنضمي إلى المخابرات وتلعبي دوراً فاعلاً فيها؟

- يا حبيبتي، رفضك التحدّث يجعلني أرى أنك ما زلت مرتبكة ومشوّشة. لا تدعي ماك يستعجلك في اتخاذ أيّ قرار أنت غير مستعدة له بعد، هل تسمعينني؟

- أسمعك يا عمتي.

وأدارت حدقتيها ناظرة إلى أعلى.

- لا تناديني عمتي، فهذا يجعلني أشعر بأنني عجوز.

– متى سيفهم عقلك الغليظ أنك لست عجوزاً؟

وابتسمت تارا بعطف وهي تحوّل اهتمامها إلى شاشة التلفزيون وقد شعرت بالتوتر خوفاً من أن يحاول ماك الإتصال فيجد الخط مشغولاً.

وفجأة شعرت بالرغبة في إنهاء المخابرة: «على أيّ حال، عليّ أن أذهب الآن. أردت فقط أن أتحدث إليك قليلاً وها أنذا أسمع صوت ماك يناديني».

تمتمت بهذه الكذبة البيضاء ثم رجت الله أن يغفرها لها.

– حسناً، خابريني بسرعة عند عودتك إلى البيت. إنني أفتقدك كثيراً.

– إذا كنت تحتاجين لصحبة، فلماذا لا تطلبين من بيتر ترنت الساكن في آخر الشارع أن يأتي ويشرب قهوة معك؟ إنه يميل إليك، ولعلكما ستنسجمان أكثر مما تتوقعين.

– كتب أثرية وأثاث أثري... سنكون رفيقين رائعين أليس كذلك؟ يا حبيبتي، عندما أيأس إلى هذا الحد، يكون الوقت قد حان لأدخل إلى الملجأ. على أيّ حال، أعطيني رقمك فيما لو فكرت في الثرثرة معك.

وفعلت تارا ذلك بطيب خاطر.

– انتبهي إلى نفسك الآن. خابريني قريباً.

مرت ساعتان من دون أيّ اتصال من ماك. كان على تارا أن تعوّد نفسها على حقيقة أنه لن يتصل، ليس الليلة على الأقل.

وتحوّلت مشاعرها من الغضب إلى اليأس، فأطفأت الأنوار في غرفة الجلوس، ثم اتجهت إلى سريرها متجهمة الوجه.

هل هي حمقاء لتثق به بعد ما فعله بها؟

وكان هذا آخر ما فكرت فيه قبل أن تغمض عينيها شاعرة بالوحشة والهجران، مستسلمة لنوم مزعج عميق.

* * *

لن يتكرر هذا! لن يضع ماك نفسه في وضع كهذا من أجل إرضاء زبون غني نزق المزاج... مهما اعتبر ذلك الزبون نفسه مهماً. وبعد يوم سيء ومرهق ومثير للغضب، سرّه أن يعود إلى المنزل حيث سيبقى مع تارا على الدوام. لكنه على الأقل، شعر بالرضا حين أخبر زبونه هذا بأن عليه، في المرة التالية، أن يمنح عمله لوكالة أخرى لأنه لا يستطيع احتمال المزيد من المشاحنات. وأدهشه أن يعود الزبون ويتزلف إليه مؤكداً له أنه لا يمكن أن يفكر أبداً في التعامل مع شركة أخرى لأنه لطالما كان راضياً عن العمل معه.

دفع ماك مبلغاً سخياً للسائق، وحمل حقيبته الصغيرة، وهي كل ما حمله معه، ثم صعد الدرجات المؤدية إلى المنزل وقد تملكه الإرهاق. كانت الأضواء مطفأة باستثناء مصباح المدخل وأخذ يبحث عن المفتاح الاحتياطي الذي كّد له ميتش أنه موضوع تحت ممسحة الأرجل أمام الباب، ثم دخل المنزل بهدوء.

في لهفته للعودة، لم يتصل بتارا إذ لم يشأ أن يوقظها فالوقت تجاوز الثالثة صباحاً كما لم يشأ أن يجعلها تقوم بتلك الرحلة الطويلة بالسيارة إلى المطار ليلاً كي تستقبله. لذا، وجد أن طلب سيارة أجرة هو الخيار الأنسب.

ألقى بسترته على كرسي في الردهة، وترك حقيبته هناك أيضاً، ثم خلع حذاءه وسار في الممشى قاصداً غرفة تارا. لم تكن ستائر غرفتها مسدلة فتدفق ضوء القمر إلى الداخل، مسبغاً رقة ونعومة على كل ما في الغرفة.

كانت مستلقية على بطنها، وقد وضعت ذراعيها على الوسادة التي تحت رأسها. وخفق قلبه لمرأى خصلات شعرها الأشقر.

انحنى، ثم أخذ يمرّ بيده على شعرها، شاعراً بأنفاسها الدافئة الهامسة على معصمه. لم يكن ينوي أن يوقظها بل أراد أن ينظر إليها

فقط. ورغم أنه فارقها منذ أربع وعشرين ساعة فقط، إلاّ أنه افتقدها كثيراً.

– ماك؟

تحركتِ ثم التفتت إليه، وأخذت تتمطى حتى جلست. راحت عيناها الناعستان تحدقان إليه وهما تطرفان، ثم استقرتا على وجهه.

– ها قد عدت، يا حبيبتي.

– أيها الحقير!

فوجئ ماك بالضربة التي سددتها إلى كتفه ولم يعبأ بالدفاع عن نفسه وعادت فضربته مرة ثانية، وثالثة إلى أن أمسك بمعصميها ليتفادى أي ضربة أخرى، ثم أخذ يحدق بذهول وارتباك إلى وجهها المتوهج الغاضب. وسألها ثائراً بعنف: «لماذا هذا كله؟».

– لقد كذبت عليّ.

– لم أكذب عليك. أنا . . .

– لا يهم الصورة التي ستظهر بها الحقيقة. حتى أنك لم تكن مهذباً بما يكفي لكي تتصل بي وتخبرني أنك ستتأخر!

وحاولت أن تخلّص معصميها منه لكنه أطبق عليهما بأصابع من فولاذ وقد تجهم وجهه.

– اصغي إلي! لقد استغرق الاجتماع مدة أطول مما ظننت، كما أن الزبون تأخر ساعتين. كان علي أن أستضيف الرجل وأتناول العشاء معه ثم أضعه في سيارة تنقله إلى بيته. بعدئذ، قابلت ميتش، ثم اتصلت بشركة الطيران كي أحجز للعودة. أردت أن أحجز في التاسعة مساء، ولكن المقعد الوحيد الذي استطعت الحصول عليه كان بعد منتصف الليل. لم أتصل بك لأنني لم أشأ أن تقودي السيارة إلى المطار في هذا الوقت المتأخر من الليل لكي تستقبليني. رأيت أنه من الأسهل أن أستقل سيارة أجرة توصلني إلى هنا، فتكون مفاجأة لك.

أضاف هذا ظناً منه أنه فاجأها فعلاً . . . ولكن ليس كما كان ينوي. إدراكه أنّ عمله تطلّب وقتاً أكثر مما ينبغي، جعله يشعر بالذنب، فنبذ هذه الفكرة بفروغ صبر.

زمّت تارا فمها غضباً وهي تكافح لتحرر معصميها من قبضته الحديدية بينما قلبها يخفق بسرعة: «هذا أشبه بما مضى، أليس كذلك؟ وعدتني ولم تف بوعدك، لا شيء تغير».

دمّره القنوط الذي بدا في صوتها. وأخذ يكافح الغضب الذي شعر به وهو يراها لا تفهمه بينما حاول ألاّ يفعل إلا ما يراه صواباً، وشتم بصوت خافت ثم أفلتها.

– لا بل تغيّر كل شيء يا تارا، بالرغم مما تظنين. لم يعد العمل في المقام الأول في سلم أولوياتي. هذه الحالة كانت حالة استثنائية تحتاج إلى خبرتي لحلها. وسواء أعجبك هذا أم لا، فأنا ما زلت مسؤولاً عن موظفيّ إذ أنّ وظائفهم تعتمد على نجاح مؤسستي، ولا يمكنني أن أتخلى عنهم.

– لا . هذا ما لن تفعله أبداً، يا ماك.

واكتسحتها موجة من الشعور بالخجل وهي تدعك معصميها. استسلمت لمخاوفها. وعندما لم يتصل ماك، افترضت الأسوأ. افترضت أنه لا يهتم بها بما يكفي ليرغب في العودة إليها في أول فرصة سانحة. وعندما سمعت القنوط والألم في صوته وهو يشرح لها ما حدث، شعرت بأنها نالت عقابها لأنها أدركت أنه رجل ذو كرامة لا يمكن أن يتخلى عن الناس إذا استطاع أن يساعدهم، بمن فيهم هي.

– آسفة.

– ليس ثمة ما يتطلب الأسف. أنا من عليه أن يتأسف. سأحرص في المرة القادمة على أن أتصل بك أولاً.

ووقف وأخذ يفرك عينيه بيده، فلاحظت التعب على ملامحه الرائعة

وهو يقول: «عودي إلى النوم. تصبحين على خير، يا تارا».

تملكها الذعر، وتخللت شعرها بيد مرتجفة: «إلى أين تذهب؟».

بدت عيناه تائهتين: «إلى الفراش. في الواقع، بالكاد أقف على قدميّ».

– ألا تريد أن تشرب؟ أن تأكل شيئاً؟

ونزلت من السرير. كانت تلبس قميص نوم وردياً بحمالات رقيقة.

وتغلب إرهاقه على افتتانه البالغ بها، فهز كتفيه: «لست بحاجة إلى طعام فقد أكلت شطيرة وشربت فنجان قهوة في الطائرة، كل ما أريده هو سريري».

وارتسمت على شفتيه ابتسامة هي أقرب إلى العبوس ثم ترك تارا واقفة هناك وخرج مغلقاً الباب خلفه بحزم.

عندما دخلت إلى المطبخ في الصباح التالي، لم تجد أيّ أثر له، بل ورقة مسندة إلى إبريق الحليب على المائدة، يخبرها فيها بأنه ذهب ليتمشى على الشاطئ، ويطلب منها ألاّ تنتظره بل أن تتناول الفطور وحدها.

التفكير في الطعام جعل معدتها تنقلب، كيف يمكنها أن تأكل والاضطراب يكتسح كيانها. خرجت إلى الردهة وتناولت معطفها الواقي من المطر ثم هرعت نحو الشاطئ.

وجدته يقذف الحصى إلى البحر: «عليك أن تثقي بي يا تارا، وإلا فعلاقتنا لن تنجح».

وبعد نظرة قصيرة إليها، تابع قذف الحصى.

ابتلعت ريقها بصعوبة، ودسّت يديها في جيبي سترتها. لقد تملكها الخبل الليلة الماضية لفكرة أنها فقدته مرة أخرى، وعندما لم يتصل بها ليخبرها بموعد عودته تملكها قلق بالغ. وراودتها أفكار جنونية مختلفة، بما في ذلك فكرة سقوط الطائرة وموته قبل أن تسنح لها الفرصة لتقول له

إنها تحبه وإنها لطالما أحبته حتى عندما كانا منفصلين. وهذا كان سبب تصرفها العنيف عندما وصل إلى المنزل!

قالت بهدوء: «الثقة خطوة كبيرة بالنسبة إليّ».

– أعلم ذلك.

ومسح يديه بكنزته وتقدم منها، رامقاً إياها بنظرات حارة جعلت قلبها يخفق بسرعة، وهو يتابع: «سأمنحك الوقت اللازم كله لكي تعتادي على ذلك. أما الآن، فكل ما أريده هو أن أكون معك. سأبذل كل ما في وسعي لأحظى بثقتك، يا تارا. هذا وعد مني».

وهدأ شيء ما في أعماقها. تملكها شعور جميل أشبه بمصباح أضيء في الظلام. ومن دون أن تنطق بكلمة، ألقت بنفسها بين ذراعيه، تشتم رائحة البحر الباردة الحادة التي علقت به وامتزجت برائحته الغامضة. ودفنت وجهها في كنزته الصوفية السميكة تستنشق وكأنه الأوكسجين، وتنهل منه وكأنه مياه عذبة.

سألته وعيناها الخضراوان تتألقان والدعابة على ملامحها: «هل أنت جائع؟».

فأجاب على الفور: «جائع إليك وليس إلى الطعام».

– حسناً، ربما بإمكاني أن أقدّم القليل من كل منهما.

ووضعت ذراعيها على صدره، فأحنى رأسه ليعانقها، لكنها دفعته بعيداً عابثة وانطلقت تركض على الشاطئ: «ولكن عليك أن تمسك بي أولاً. أتظن أنّ بإمكانك ذلك؟».

فابتسم بنهم: «إذا كنت أنت الجائزة يا حبيبتي فيمكنني أن أتحدى الفرق الأولمبية كلها وأفوز!».

انطلقت تعدو بسرعة فلحق بها بسرعة أكبر مما توقّعت وعندما نظرت إلى الخلف لتقوّم مدى سرعته رأته قد وصل إليها. وعندما وقف بجانبها، كانت غارقة في الضحك ويدها على خاصرتها: «لابد أنك

كنت تتدرّب. هذا عظيم».

– ليس بنصف العظمة التي سترينها مني بعد قليل، يا سيدة سيمونسن.

وحملها بين ذراعيه بحزم، فطوقت خصره بذراعيها وهي تقول مداعبة: «وعود... مجرد وعود».

– ماذا؟ أتظنين إنني لست قادراً على مواجهة التحدي؟

تنهدت وهي تنظر إل ملامحه الرائعة: «أظن أن بإمكانك أن تواجه أي تحدٍ يهمك، يا ماك. صدقني!».

٩ - الساحر الحقيقي

بعد أن سارا بالسيارة فترة، توقف ماك عند منطقة تحبس الأنفاس هي عبارة عن هضبة صخرية مقفرة تحت السماء الزرقاء التي عكست صقيع الشتاء. وبعد أن تأملّ المشهد طويلاً، إلتفت فجأة نحو تارا: «لا بأس، اعطيني الخريطة».

– لا. يمكنني أن أقرأها.

– كوني فتاة طيبة واعطيني الخريطة، يا تارا.

– قلت لك لا. وأرجوك ألاّ تستخدم معي هذه اللهجة التي يبدو أنك تحتفظ بها لسكرتيراتك فأنا أعرف ما أفعل. أنا أقرأ الخرائط منذ طفولتي.

فسأل بابتسامة: «هل لك إذن أن تفسري لي سبب ضياعنا؟»

لم يكن ماك صبوراً في ما يتعلق بقيادة السيارات... لكن تارا كانت مصممة على تحمّل مسؤولية نزهتها هذه ما جعل عمله يقتصر على الاستمتاع. إنما ضياعهما أضاف نكهة إلى رحلتهما هذه.

انزعجت لعدم تمكنها من أن تحدد مكانهما على الخريطة، فحكّت رأسها ثم حملقت في هذا الرجل الوسيم الضخم بجانبها: «سأكره العمل معك. أتعلم هذا؟».

– أنا أيضاً سأكره أن تعملي معي.

وعندما عبست باستياء، ضحك ولامس خدها بإصبعه: «لأنك ستلهينني عن عملي، فلا أنجز شيئاً».

www.elromancia.com

مالت نحوه بدلال: «هل تظن هذا شيئاً حسناً أم سيئاً؟».

- ما أظنه حالياً...

وطبع قبلة صغيرة على خدها أشبه بلغم أرضي: «حالياً دخري مهاراتك كلها لقراءة هذه الخريطة وإخراجنا من هنا... قبل أن أضطر للجوء إلى أول قاعدة للنجاة عندما يضيع المرء في منطقة مجهولة».

- وما هي تلك القاعدة؟

تسارعت أنفاسها فنظرت إليه متوقعة منه رداً غريباً. عندئذ، أجاب بصوت أجش: «فحص الإصابات الجسدية».

- ولكن... لم يصب أي منا بأذى؟

شدّها نحوه واحتضنها بقوة فغلى دمها في عروقها، وأخذت هي بدورها تلامس فكه، مسرورة بقدرتها على أن تمد يدها فتلمسه بعد حرمانها من ذلك لخمس سنوات طويلة. كيف عاشت من دونه طيلة ذلك الوقت؟ وخنقتها المشاعر وأعمتها الدموع. عواطفها المحمومة وحبها المدمّر لهذا الرجل المثابر، العنيد، الشديد الوسامة، حملت طفله ومات من دون أن يدري عنه شيئاً... واكتسحتها الذكريات من دون رحمة.

أدرك ماك أن ذهنها شرد إلى مكان آخر... مكان يختلف عن هذه الحرارة التي تتولد بينهما بسهولة... فابتعد عنها آسفاً وإذا به يرى عينيها الخضراوين الرائعتين تغرورقان بالدموع. انقبض قلبه فرؤيتها تبكي تدمّره، وأدار وجهها إليه: «لماذا تبكين؟».

- أنا آسفة لأنني لم أخبرك عن الطفل، آسفة لأنني ظننتك لن تهتم. هل يمكنك أن تسامحني يا ماك؟

شعر بغصة في حلقه لذكرها الطفل، لكنه تمالك نفسه بعد لحظة أو اثنتين. كان في أعماقه يحاول أن يتجاوز خسارتهما تلك، مقسماً بألاّ يغيب عن تارا أبداً إذا رزقهما الله أولاداً.

لن يدعها تفقد ثقتها بقسمه هذا مرة أخرى ما دام حياً... وأجابها: «أسامحك طبعاً. لقد أخطأنا نحن الإثنين ولا أظن أن أياً منا تعمّد إيذاء الآخر. لا يمكننا أن نستعيد ما فقدناه يا تارا، ولكن بإمكاننا أن نبدأ من جديد».

شبكت يديها بيديه وابتسمت ابتسامة صغيرة وهي تقول: «ما زلت لا أدري ماذا أريد يا ماك. أعني، أعني أنني أريدك ولكن...».

واعترفت في سرّها: لكني خائفة للغاية، خائفة من أن تفشل علاقتنا من جديد، خائفة من ألاّ أستطيع احتمال الألم إذا هجرتني مرّة أخرى...

- لا بأس، يا حبيبتي. لست مضطرة لاتخاذ أيّ قرار حالياً. سنتقدّم تدريجياً ونرى كيف تسير الأمور.

أتعبه أن يبدو بهذا الهدوء بينما قلبه يوشك أن يتوقّف. يوماً ما، وبشكل ما، سينجح في استعادتها أو سيموت في سبيل ذلك. وطبع قبلة صغيرة على جبينها ثم ضمها إليه بحنان يستمتع باكتشاف مدى تأثيره فيها... وقد قرأ هذا التأثير في عينيها النديتين ووجنتيها الورديتين وشفتيها. تجاوبها معه فعل الأعاجيب وعزز ثقته، وليس فقط رغبته.

- إذا فكرت في واقع أنني لم أستطع أن أبعد يديّ عنك منذ بدء إجازتنا هذه، كما أنك لم تطرديني وتبعديني عنك، فيمكنني القول إن أمامنا فرصة كبيرة كي ينجح أمرنا. أليس كذلك؟

رفعت تارا كتفيها وتنهدت. هذا الرجل لا يقاوم، كما أنها لا تريد أن تقاومه على الإطلاق. وفجأة، تملكها الارتباك من نظراته المتفحصة فأخذت تدرس الخريطة بانفعال، ثم ضاقت عيناها وضربت مكاناً معيناً بإصبعها وهي تهتف بانتصار: «وجدته. مررنا بهذا المكان منذ خمس دقائق وأظننا لا نبعد عن الكهف سوى ميلين. وإذا تقدمنا قليلاً، فسنجده أمامنا».

تثاءب ماك وأخذ يتمطى ثم قال متظاهراً بخيبة الأمل: «أتعنين أن علي أن أبدأ بقيادة السيارة مرة أخرى؟».

تململت من نظرات الحارة الكسول، وحوّلت انتباهها إلى تلك المناظر المذهلة من حولهما: «عليك ذلك طبعاً! ثمة الكثير مما ينبغي رؤيته. وبعد أن ننتهي من زيارة كهوف «إيلوي»، أريد أن أذهب لأرى مكاناً آخر يُقال إنه من أجمل المناظر هنا. لدي أفلام في الكاميرا أريد أن أستعملها».

سألها وهو يركّز على القيادة: «وبعد ذلك؟»

- بعد ذلك...

ورمقته بنظرة جائعة، ثم تنحنحت ناظرة إلى الأمام: «سنبحث عمّا يبعدنا عن العبث».

وعندما وقفا على الجسر الحديدي، أمسكت تارا بذراع ماك لا تجرؤ على النظر إلى الأسفل بينما دليلهما الايرلندي البشوش يشرح لهما الفرق بين الرواسب الكلسية المدلاة من سقوف المغاور والرواسب الكلسية في أرضها. كانت المغاور التي تعود إلى حوالى مليوني سنة غامضة بشكل مثير، فيما الرائحة التي تفوح من الصخور البالغة القدم تنقلهما إلى عالم لا يمكن للمرء الذي يسير على اليابسة في الخارج أن يتصور وجوده. همس لها ماك وهما يسيران ببطء خلف صف السيّاح الذين يتبعون الدليل: «أليس هذا محيّراً؟».

فأجابته تاراً همساً وهي ما زالت تتشبث بذراعه: «لعلك تحتاج لمن يذكرك بشيء ما عني».

- وما هو؟

- أنا أخاف العلو، وأصاب بالدوار لمجرد صعودي درجتين على السلم.

قهقه بصوت خافت: «صحيح، تذكرت. لقد رفضت الصعود في

مصعد زجاجي عندما كنا مدعوين إلى حفل كوكتيل في «الويدس»، هل تذكرين؟».

- أذكر أنني كنت شاكرة لعضلاتي القوية التي مكنتني من صعود السلالم.

بعد ربع ساعة، وكما أنذرهم الدليل، غرق الكهف في ظلام دامس. وسرّت تارا لأنّ أصابع ماك اشتبكت بأصابعها مطمئنة، فالظلام يخيفها أيضاً خوفاً مرضياً.

ازداد اقتراباً منها: «هل أنت بخير؟ أعرف أنك لا تحبين الظلام».

- أنا شجاعة، أليس كذلك؟

وهزت كتفها ساخرة من نفسها.

فهمس في أذنها: «أنت أشجع امرأة عرفتها».

هل تصوّرت ذلك أم أنه طبع فعلا قبلات صغيرة عدة على خدها؟ أجنحة الفراشة ليست أخف من لمسته.

* * *

كان قلبها يطفح ببهجة ورغبة... وإذا لم يخرجا من هنا حالاً إلى ضوء النهار فلن تستطيع أن تسير بشكل مستقيم! وشعرت بالارتياح عندما عاد الضوء منيراً كافة الزوايا، محيلاً الكهوف إلى نوع من مغارات الجن السحرية.

ابتسمت تارا لماك. شعرت بالسعادة لأنهما عادا يتعرفان إلى بعضهما البعض من جديد. كانا، كأي عاشقين جديدين، ينتظر أحدهما بشوق بالغ لمسة أو ابتسامة من الآخر وتساءلت إن كان هو أيضاً يشعر بذلك.

- بماذا تفكرين؟

وضغط على يدها وهو يقودها خلف صف السياح الذين كانوا يثرثرون أثناء توجههم نحو باب الخروج.

وتقدمت تارا منه وهي لا تزال تبتسم فألقى عليها نظرة واحدة ثم جذبها إليه يضمها بشدة وقال للمرأة غير عابئ بإخفاء زهوه وشعوره بالتملك: «هذه زوجتي».

- تسرني معرفتك. هل لديكما أطفال؟

فأجاب: «لا، ليس لدينا أطفال».

سمعت تارا خفقات قلبه تتسارع قرب أذنها وشعرت بجسمه يتصلب وكأنه صدم فرفعت رأسها إليه لتقرأ النظرة المعذبة في عينيه، فقالت للمرأة بصوت واضح: «لكننا نتوقع ذلك قريباً جداً».

- إنهم يغيرون حياتك إلى الأبد، وهذا لا يحدث بدونهم.

أخذت تقبل ابنها بلهفة وقد أشرق وجهها بابتسامة كأشعة الشمس.

- هذا ما سمعته.

وجذب تارا إليه وكأنه متلهف للرحيل وقد بدا الأمل على ملامحه فضلاً عن الرغبة التي لم يستطع إخفاءها.

- حظاً سعيداً لكما! إنكما زوجان رائعان... وأنا واثقة من أنكما ستكونان والدين رائعين أيضاً. هيا، يا ميشيل، لكي تشتري لك ماما حلوى.

وعندما تركتهما المرأة صاحت تارا من خلفها: «انتبهي لميشيل».

وقال لها ماك: «البيت؟».

- البيت.

وجرته نحو السيارة.

أثناء رحلة العودة إلى البيت كان التوتر يزداد ويزداد حتى لم يستطيعا التحدث إلى بعضهما البعض لأن أقل كلمة أو نظرة ذات معنى قد تخلّ بتوازنهما. وصرخت تارا بحدة عندما صفق ماك باب السيارة خلفهما بعنف ثم دفعها فيما بدت ملامحه قاسية وحشية. وفجأة، تلاشى التظاهر بالتحكم وأخذها بين ذراعيه فذابت في أحضانه وتأوهت:

«أواه... يا ماك».

كانت مشاعرها في أوجها فقالت: «أظنني كنت أحلم بهذا في كل ليلة منذ انفصالنا».

وتخللت شعره الأشقر بأصابعها وأغمضت عينيها ففقدت كل إحساس بالزمن. لم يعد يهمها شيء في الحياة، إذ نقلتها مشاعرها المحمومة إلى عالم آخر وكل ما أمكنها أن تفعله هو أن تستسلم لهذه المشاعر الهائلة.

- ماك...

كان ذهنها معلقاً في مكان ما حيث الأفكار والنوايا وآلام الماضي لا أهمية لها حين أراحت رأسها على صدره الصلب.

وعندما رفع ذقنها بإصبعه لينظر في عينيها، ثم يمنحها أكثر الإبتسامات إثارة، كادت تارا تهوي أرضاً.

استند إلى مرفقه ثم راح يتأمل تارا بنهم. أخذ يتساءل متى ستستيقظ من النوم. مرت ثلاثة أيام لم يتركا فيها السرير إلا للأكل أو الاغتسال أو السير على الشاطئ... هل كانت علاقتهما دوماً بهذه الحرارة؟ وهذا الجمال؟ أم أن الفراق قوّى رغبتهما؟ وخفق قلبه عندما تمتمت تارا بشيء على الوسادة، ثم أدارت وجهها لتحدق فيه ناعسة.

سألها: «ماذا تقولين؟».

- سألتك إذا نمت.

- ليس جيداً.

- ماك.

- ماذا؟

- قررت الخروج اليوم للقيام ببعض التمارين فقد حوّلتني إلى امرأة مرهقة كسولة.

وجلست في السرير وجذبت الملاءة لتغطي نفسها وهي تعض

شفتها لتمنع نفسها من الضحك بصوت مرتفع عندما قال ماك متوسلاً: «قبلة واحدة فقط، قبلة واحدة صغيرة ثم أدعك تذهبين... إذا شئت ذلك».

يا إلهي... إنه رائع! وامتلأ قلبها بحبه. إن تمضيتهما الوقت معاً بعيداً عن متطلبات الحياة العادية، جعلها تكتشف جانباً جديداً من ماك أو، على الأقل، جانباً كانت قد نسيت وجوده. كان ماك مرحاً، محباً، حنوناً، حساساً وقوياً... إنه يتمتع بكافة المزايا الكفيلة بأن تمحو شكوك أكثر نساء العالم تردداً.

- لا بأس إذن.

وأضافت مداعبة وهي تمد يدها إلى خصلة من شعره تزيحها عن جبينه: «سأمنحك قبلة واحد، إذا وعدتني بأن تحضّر لي فطوري».

التمعت عيناه وهو يقول: «اتفقنا».

- أنا لا أتحدث هنا عن «الكورنفليكس» و «التوست» يا ماك سيمونسن. أريد فطوراً كاملاً من البيض واللحم والبندورة والسجق... و...

وتلاشى صوتها حين عانقها واكتسحتها موجة عارمة من المشاعر انتشرت في كيانها كله فأسكتتها. تخللت شعره بأصابعها وغاصت بين الوسائد خلفها وهي تهمس: «ماك... لا عجب في تسميتهم لك بالساحر».

تصاعد رنين الهاتف فجأة فجمدا مكانهما...

- لا ترد عليه.

ابتسم ماك وهو يهز رأسه: «لا أنوي الرد عليه ولعل الرقم خطأ».

لكنها عادت وسألته: «ماذا لو أن الرقم ليس خطأ؟ إن رنين الهاتف مستمر. ماذا لو أن ميتش يتصل بك بسبب طارئ في العمل؟».

- لن أجيبه.

- دعني أرد عليه أنا.

- ما الذي تفعلينه، يا تارا، بحق الله؟

لكنها كانت قد نزلت من السرير قبل أن يجد وقتاً للتفكير. ووقفت تنظر إليه تغيظه قبل أن تخرج من الغرفة.

عادت بعد دقيقتين مقطبة الجبين والقلق بادٍ في وجهها. نظر إليها بقلق وسأل: «من المتصل؟ ميتش؟».

إذا كان ثمة مشكلة أخرى فعلى نائبه أن يعالجها بنفسه. لن يقطع إجازته هذه مرة أخرى. لكنها تمتمت تقول وهي تضع إصبعها على فمها شاردة الذهن: «لم يكن ميتش. لقد تعرّضت عمتي بيث لحادث وعليّ أن أكون قربها».

١٠ - سأفي بوعدي

- ماذا تعنين بقولك إنه من الأفضل أن أنزل في الفندق؟

لم يصدق ما سمعه. ترجّل من السيارة عابساً ولحق بتارا التي أخرجت المفاتيح لتفتح باب المتجر. كانت يدها ترتجف قليلاً، ولم تشأ أن تنظر إليه: «عمتي بحاجة إلي الآن، وليس من الصواب أن تقيم أنت هنا حالما تدير هي ظهرها».

فتحت الباب ودخلت إلى المتجر المعتم المليء بالتحف المتنوعة والأثاث الأثري الفخم، وماك في أعقابها.

قالت بضجر محاولة أن تنفض عنها التعب الذي تملكها بعد ساعات من السفر: «أتمانع في أن أدير كل هذا بنفسي مرة أخرى؟»

وحدّثت نفسها بأن وضع مسافة صغيرة بينها وبين ماك، لأيام قليلة على الأقل، لن يضرّ. في ايرلندا كان من السهل عليها أن تقنع نفسها بأنه سيفي بوعده ويقلل من إدمانه على العمل، لكن، وبعد عودتهما إلى الوطن، لم تعد واثقة من ذلك. الحادث الذي تعرضت له بيث سيكون محط اهتمامها وقد يمنحها مزيداً من الوقت تستغله حتى تشعر بثقة أكبر به.

- أنا قلت. . .

فقال ثائراً: «أعرف ماذا قلت. أردت فقط أن أتأكد من أنني سمعتك جيداً. هل الأيام القليلة الماضية مجرد تخيّلات مني، يا تارا؟ أم أنها كانت حلماً؟ بعد كل ما قلناه، تحاولين أن تتخلصي مني وكأنني

تلميذ مزعج وكأن الوقت الذي أمضيناه معاً لا يعني شيئاً؟ ظننت أننا اتفقنا على أن تعود علاقتنا إلى ما كانت عليه وعلى أساس دائم. كيف تبين اتفاقنا هذا بإقصائي إلى فندق صغير قديم بينما أنت تعيشين هنا وحدك؟».

تنهدت وهي تلقي بالمفاتيح على مكتب عمتها ثم تخلع معطفها:

«حتى تخرج عمتي من المستشفى وحسب. لديّ مشاغل كثيرة هنا، كما أن لعمتي الأولوية».

- كلا!

كلمة غضب لا تصف تماماً ما يشعر به. لقد تفاهما قبل أن يعودا إلى الوطن وتحدثا طويلاً في الليالي. اتفقا على أنهما يريدان أن يعيشا مع بعضهما البعض بشكل دائم. والآن، ها هي تارا تخون العهد. . . فتتركه مرة أخرى، معلقاً، متحججة بعذر مناسب للابتعاد عنه. لقد ضحى وابتعد عن عمله شهراً كاملاً كي يكسب ودّها مرة أخرى. . . لكي يقنعها بأنهما خلقا لبعضهما البعض. وهو لن يتوارى الآن، مطأطئ الرأس، حتى تعود إلى رشدها.

- لقد كنت صبوراً معك، يا تارا. لم أشأ أن تستعجلي في اتخاذ قرارك كما أنني تخلّيت عن الكثير لأكون معك هنا. أريدك فقط أن تعلمي أنني فعلت ذلك لأنني أردت إنجاح زواجنا مرة أخرى. أردت تعهداً، فحصلت على تعهد! أقل ما يمكننا فعله الآن هو أن نعيش مع بعضنا البعض، لا يهمني إن كان ذلك هنا أو في الفندق، ولكن لننجح هذا علينا أن نتصرف كشخص واحد.

استندت إلى المكتب خلفها وقد اعتصر قلبها: «تقول إنك تخليت عن الكثير لتكون هنا معي؟».

وهزت رأسها ببطء ثم أردفت: «تعني عملك، أليس كذلك؟».

أدرك غلطته وأنّب نفسه على هذا فأخذت عيناه تجولان في الغرفة

ليكسب بعض الوقت قبل أن يستدير نحو تارا: «أنا لم أقصد ذلك».

– لعلك تخدع نفسك يا ماك، لكنك لا تستطيع أن تخدعني! إنك متلهف للعودة إلى وكالتك أليس كذلك؟ لعلك لم تفكر في أيّ مسألة غير ذلك طيلة الوقت الذي أمضيته هنا!

– هذا غير صحيح!

– غير صحيح؟

ورمقته بنظرات باردة كالثلج ما جعل ماك يشعر وكأن عالمه انهار. تباً! إن كلامها صحيح لكن العمل لم يشغل تفكيره معظم الوقت فعندما يكون مع تارا، لا يشغل تفكيره سواها. ولكن ما إن يجد نفسه وحيداً حتى يعود العمل لا شعورياً إلى ذهنه. كلامها صحيح هنا. إنها على حق وهو أكبر أحمق في العالم.

قالت بيث تعنّف تارا: «لا تنظري إليّ وكأنك توشكين على البكاء. أنا التي ينبغي أن تبكي. كنت على وشك أن أبيع تلك الأريكة اللعينة الموجودة عندي منذ وقت طويل، فماذا فعلت؟ تعثرت بها فكسرت ركبتي».

رغم غضبها تناولت حبة عنب من عنقود أحضرته تارا وأكلتها من دون تلذذ. وتنهدت تارا، وأمسكت بيد عمتها وأخذت تربّت عليها بحنان. ورغم أن حيوية العمة لم تضعف، إلا أن الحادث أثرّ في نشاطها المعتاد. كان وجهها الخالي من الزينة لأول مرة، شاحباً للغاية، حتى أن الشال الأحمر الذي تضعه على كتفيها فشل في أن يسبغ على بشرتها دفئاً. وامتلأ قلبها حباً، وازداد ضغطها على يد عمتها: «أرجو ألاّ تقلقي، فسأعتني بالمتجر. كل ما أريده منك هو أن ترتاحي لكي تشفي تماماً. بعد أيام ستخرجين من هذا المكان. ستتنقلين على كرسي متحرك لفترة ثم على عكازتين. عليك أن تعتادي على عدم الحركة، وكلما شُفيت سريعاً، كلما عدت سريعاً إلى حياتك العادية».

فقالت بيث باسمة: «منذ متى أصبحت ابنة أخي الصغيرة الجميلة التي اعتادت أن تستخدم أدوات زينتي لتتبرّج وأن ترتدي أثوابي، امرأة بهذه الحكمة؟».

وأخرجت منديلاً مطرزاً مسحت به أنفها وضغطت تارا على يد عمتها بعطف: «ربما منذ أدركت أنني أهملت زواجي وهربت بعيداً لأعالج جراحي بدلاً من أن أبقى وأحاول أن أفكر في طريقة أستعيد بها زوجي».

– وأين هو زوجك الآن؟ أظنه ما زال زوجك فأنتما لم توقّعا على أوراق الطلاق أثناء إجازتكما هذه؟

احمر وجه تارا: «ما زلنا متزوجين. وقبل أن تسأليني لا أعرف ما إذا كان هذا سيدوم. ثمة أمور ما زال علينا أن نتفق عليها. حالياً، سأهتم بالمتجر. أعلمي أنّ ماك استلم المتجر وهو يراقب الأمور بعناية. ولعله باع معظم محتوياته الآن... بما في ذلك أريكتك اللعينة».

رسم قولها هذا ابتسامة إلى وجه بيث الكئيب: «حسناً، إذ ما فعل هذا، فعليّ أن أمنحه نسبة مئوية. ولكن، أخبريني، أليس عليه أن يعود إلى لندن أحياناً؟».

«حينذاك ماذا ستفعلين؟» سمعت تارا هذا السؤال الذي لم تنطق به عمتها، فهزت كتفيها: «ما زال لديه أسبوعان قبل أن يعود، سيساعدني في هذه الأثناء في إدارة المتجر والقيام بكل ما يلزم لجعل الأمور مريحة لك عندما تخرجين من هنا».

– يا فتاتي الحبيبة، ما يهمني في الواقع هو سعادتك. أظن أن عليّ أن أثق بما تفعلينه بالنسبة إلى زوجك الساحر ذاك. من الواضح أنني لا أستطيع تقديم المساعدة. بالمناسبة، أقدّر لكما قطع إجازتكما والقدوم إلى هنا على الفور. ألا يمكن لصديق ماك أن يعيركما بيته مرة أخرى قريباً؟

عندما أخذت تارا تفكر في تلك الأيام الطويلة الكسولة التي أمضياها معاً يتمشيان على ذلك الشاطئ الرائع بينما الأمواج البيضاء ترتطم بالصخور، خرجت من أعماقها آهة غير متعمدة، مثقلة بالأمل والشوق. لكن ذكرى شجارهما العنيف عند عودتهما إلى الوطن ما زالت في بالها تفسد أي أمل لهما بالسعادة. وأجابت عمتها بابتسامة مختصرة: «من يدري؟».

ومدت يدها إلى عنقود العنب لتتناول منه حبة.

أخذت تارا تتفحّص مفكرتها بسرعة، وحدّقت في موعد آخر «دورة شهرية» لها، لتشعر في نهاية الأمر بأن قواها كلها استُنزفت وكبحت رغبة تملكتها في أن تصرخ أو تبكي.

جلست مذهولة على كرسي الحمام، ووضعت يديها على معدتها. لم تخطئ كما ظنت فقد تأخرت دورتها الشهرية أسبوعاً، وإذا لم يشكّل هذا برهاناً كافياً فإن ما تشعر به في رأسها ومعدتها يؤكد ذلك.

تمتمت بعنف وصوت خافت: عظيم! توقيتك ممتاز يا تارا... ممتاز إلى حد لعين.

لكن كلماتها كانت تناقض ما تشعر به من بهجة... إذ أحست في داخلها وكأن عيد الميلاد حان. أن تعلم أنها وماك سيصبحان والدين مرة أخرى... حسناً، إنه حلم مستحيل يتحقق، أليس كذلك؟

أخذت تمسّد صدغها الأيمن لتخفف الألم الذي ابتدأ يزعجها. لم يأت ماك على ذكر موعد المصالحة بينهما مرة أخرى منذ الشجار الذي حدث بينهما بل حجز غرفة في أحسن فندق في المدينة. بدا وكأنه يترقب الفرصة المؤاتية، منتظراً أن تصل تارا إلى قرار مناسب.

لكن منذ عودتهما، تسلّم مسؤولية المتجر فتفحّص ملاحظات بيث، واتصل بالزبائن والتجار لإعلامهم بما حدث، وغيّر مواعيد التسليم. كما اهتم بالمبيعات في المتجر حتى أنه حضر معرضاً بالنيابة عن بيث

التي كانت قد خططت له. أما تارا فانسحبت لتشغل نفسها بالأعمال المنزلية من تنظيف وغسل للثياب وتسوّق وإعداد المكان لعودة بيث من المستشفى.

لم تشأ أن تهتم عمتها بأيّ شيء فسّرها العون الذي قدّمه ماك لهما. كانا يعملان معاً في أنحاء المكان منذ أيام، بكل تهذيب، وتحفظ وتكتّم، ولم يتطرقا إلى موضوع الترتيبات الدائمة لعلاقتهما. لكن إمكانية أن تكون تارا حاملاً الآن، قد تغيّر كافة المعطيات. عليهما أن يتحدثا الآن، وبشكل جاد تماماً.

نزلت من البيت إلى المتجر وإذا بها تذهل لرؤيته مليئاً بالزبائن... أو بالأحرى بالنساء. كان ماك جالساً على حافة مكتب بيث، وهو يتحدث بإسهاب. كان يرتدي كنزة زرقاء داكنة، عالية الياقة، وسروالاً أسود. وكانت النسوة الأربع مجتمعات حوله، يحدّقن إليه وكأنهن ينظرن إلى فتى أحلامهن فشعرت تارا بالضيق على الفور.

كانت إحداهن امرأة سمراء رشيقة جذابة في الأربعينات من العمر راحت تضحك كفتاة صغيرة، وهي تلمس ركبته. كانت تارا تعرفها فهي زوجة طبيب عام. ولم تشأ أن تعترف بأن سهم الغيرة اخترق صدرها فجعل أذنيها تحمّران وقلبها يخفق.

- ماك؟ هل يمكنني التحدث إليك لحظة؟

بدت كلماتها أمراً أكثر منها التماساً. واستدار بكرسيه نحوها بارتباك، وابتسم لها ابتسامة أشبه بقنبلة استقرت عند قدميها.

- ماذا تريدين يا حبيبتي؟

حبيبتي؟ وشعرت بحس الفكاهة لديها يتحرك. لم يعجبها تحديق النسوة به وكأنهن مراهقات معجبات بفتى في فرقة موسيقية.

- أريد أن أتحدث إليك على انفراد إذا لم يكن لديك ثمة مانع.

وخرجت من القاعة إلى الردهة الصغيرة التي تؤدي إلى مخزن

البضائع خلف المتجر ومنها إلى السلم المؤدي إلى شقة بيث، حيث انتظرت.

قال ضاحكاً وفي عينيه المدمّرتين نظرة تسلية: «ما الأمر؟»

– ما الذي تفعله؟

أشار بإبهامه إلى الخلف عابساً: «هناك؟ أليس هذا واضحاً؟ إنني أتعامل مع الزبائن».

– وهذا التعامل مع الزبائن هو طريقة لطيفة للتعبير عن أي شيء؟ الترفيه عن نساء متعطشات إلى الرجال؟ ما كان لهن أن يظهرن ذلك.

هز رأسه غير مصدق: «هذا الكلام لا يستحق جواباً. ماذا جرى يا تارا؟ هل تشعرين بشيء من الوحدة هنا؟ أخبرتك أن سريري مزدوج هناك في غرفتي في الفندق».

أدرك ماك أنّ ردّه جاء مباشراً، لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه. فمنذ عودتهما من ايرلندا، وهي تتعمد الابتعاد عنه، وكأن كل ما جرى بينهما أثناء غيابهما عن البلاد، لم يكن سوى نتيجة ضعف من جانبها، ضعف ندمت عليه الآن. كان غاضباً للغاية في أعماقه، لكنه بقي متحكماً في نفسه احتراماً لبيث. كان يعلم أن تارا قلقة على عمتها، وأنها خائفة أيضاً، لا بل مذعورة، من أن تجدد ثقتها به فيتكرر ما حدث من قبل. لهذا، دفعته الحكمة إلى عدم استعجالها وإلى منحها مزيداً من الوقت. لكن صبره نفد فجأة. كم من الوقت ستحتاج لتقتنع أنه صادق في كل كلمة قالها حول رغبته في أن تنجح علاقتهما؟

إنه يعلم أنه كاد يدمّر كل ما بناه بإعلانه أن العمل ما زال له الأولية في حياته، لكنه وعدها بأن يبحث عن بيت في هذه المنطقة، وبأن يقلل ساعات عمله لكي يمضيا معاً مزيداً من الوقت. ماذا تريد هذه المرأة أكثر؟

شدّت قبضتيها وحدقت إليه بعينين غاضبتين: «لا تغتر بنفسك. إذا

كنت أشعر بالوحدة، فأنت لست السمكة الوحيدة في البحر. . . يا ماك سيمونسن».

– إلى ماذا تلمحين؟ إلى وجود رجل آخر؟

طعنته الغيرة في الصميم وأمسك بذراعها يمنعها من الهرب حين همت بذلك.

– كلا، طبعاً!

وعضت شفتها وهي تلعن طبعها الأحمق. إن محاول إثارة غيرته ليست بالفكرة الحسنة، لاسيّما وأنّ علاقتهما متوترة بما يكفي.

وفجأة شعرت بالخوف والعجز. إنها بحاجة لأن تخبره بأمرها حالاً لأن الأمر أكبر مما تطيق احتماله وحدها. لكنها بحاجة أولاً إلى بعض الوقت لكي تدعم دفاعاتها: «أشعر بشيء من التعب، وهذا كل في الأمر. أنا لا أريد أي جدال حتى لو ظننت أنني متعطشة لذلك. أظن أن عليّ أن أذهب لأستلقي قليلاً. هل لديك مانع في أن تهتم بالمتجر حتى موعد إغلاقه؟».

ترك ذراعها ونظر إلى ساعته: «ما من مشكلة. لكن عندما يحين موعد الإغلاق، سآتي لأراك. ثمة أمور علينا أن نوضحها، ولن أترك هذا المكان قبل أن تعالجها بالشكل الذي يرضيني. هل هذا مفهوم؟».

كبحت رداً حاداً ممتعضاً وأخفت غضبها وهي تومئ قائلة: «يمكنك أن تبقى على العشاء، إذا شئت».

وتملكها الخجل لسوء طبعها، فتابعت تقول: «سأحضّر السمك مع صلصة التوابل. الطبق ليس مغرياً جداً».

أخذ يدعك فكه، ثم تأوه ببطء آهة استسلام أعلمت تارا أن صبره يضعف إلى حد كبير وأنّ عليها ألاّ تضغط عليه أكثر، وإلا فستفقد ذلك الرجل الرقيق. وفجأة، تملكها الشوق إلى تلك الأيام السعيدة في ايرلندا حيث لم تكن بحاجة لاتخاذ أيّ قرارات مصيرية. منذ عودتهما

إلى الوطن، عادت الحياة جادة، أكثر مما ينبغي.

- اذهبي إلى السرير. أنا فعلاً أراك متعبة. لماذا لا تدعينني أحضرّ العشاء؟

- لا بأس.

لم يكن لديها، في هذه اللحظة، الإرادة أو القوة للرفض.

- لم تكادي تأكلين شيئاً.

- من أنت؟ أمي؟

وابتعدت عن المائدة ملقية بفوطتها جانباً، ثم أسرعت إلى غرفة الجلوس. وجدها ماك تحدق إلى الخارج، بينما الغرفة مضاءة بشكل ناعم بمصباح أثري في الزاوية. وتملكه الشوق لمعرفة ما يدور في رأسها، إذ بدت على العشاء متململة، متوترة، سريعة الإنفعال أشبه بقطة. وكلما تقابلت نظراتهما كانت تشيح بعينيها بعيداً.

ولم يجد سوى أن يدعو الله ألاّ يكون سبب توترها أنها تحاول أن تجد طريقة لتخبره أنها لا ترغب في أي صلح معه. لم يكن لديه فكرة عما سيفعله إذا ما قالت له ذلك، لاسيّما بعد أن كبرت آماله.

- هل أحضر لك شيئاً؟

استدارت تنظر إليه وقد شبكت ذراعيها على صدرها بشكل دفاعي: «لا، شكراً».

عبس ماك، وشعر بنفسه وكأنه نادل يسألها عما إذا كان الطعام قد أعجبها.

- لا بأس. ماذا حدث لك يا تارا؟ إذا لم تخبريني فلن أغادر هذا المكان قبل أن أحصل على جواب.

وليؤكد تهديده، استقر على الأريكة.

إذا لم يكن هذا هو الوقت المناسب لتخبره، فلن تجد وقتاً أفضل. فبيث ستعود بعد يومين، وسيكون على تارا أن تكرس معظم وقتها

للعناية بها، ولإدارة المتجر. فلا بد أن ماك سيرفض متابعة هذه المهمة. وقد أدهشها أن يبقى كل هذا الوقت الطويل. كل يوم كان الخوف يتملكها من أن يعلن لها أنه سيعود إلى عمله. وعندما يعود إلى لندن... عندما يعود إلى وكالته الناجحة... من يعلم متى سيعود ليراها مرة أخرى؟

شعرت بثقل في قلبها، فابتلعت ريقها وقد خنقتها المشاعر، ثم تنهدت: «حسناً، أنا لست واثقة مئة بالمئة. أعني... أنني لم أجر الاختبار المناسب بعد. ولكن... أظنني حامل».

ها قد نطقت بتلك الكلمة، من دون أن ينهار العالم. لكن ماك بدا هادئاً للغاية وكأنه في غيبوبة، ثم ابتسم تلك الابتسامة التي تركع لها النساء، والتي أخذت تتسع وتتسع حتى كادت تارا تنسى أن تتنفس.

- لا أدري ماذا أقول.

بعد تلك الابتسامة المذهلة، بدت كلماته هذه وكأنها صفعة على وجهها. لم يكن هذا ما أرادت أن تسمعه. فحسب خبرتها عبارة لا أدري تعني الشك، والشك لا يطمئنها. فهي تريد أن تطمئن إلى أن الأمور ستكون على ما يرام. أليس هذا ما تريده أيّ امرأة على عتبة الأمومة؟ لاسيّما بعد ظروف حملها السابق وما انتهى إليه؟

وغرقت في أفكارها الرمادية الشبيهة بضباب لندن، فلم تلاحظ أن ماك وقف وتقدم ليقف أمامها، مسبلاً ذراعيها المشبوكتين.

اشتمت رائحة عطر ما بعد الحلاقة التي تفوح منه فاشتعلت المشاعر فيها أشبه بنيران خامدة تحت رماد دبّت فيها الحياة. واستيقظت حواسها كلها فحدقت في وجهه الرائع واللهفة تكاد تخنقها: «كان علينا أن ننتبه... إنها غلطتي... كان عليّ أن أصرّ... نصرّ...».

لم تكمل كلامها لأنها سرعان ما وجدت نفسها في أحضان ماك يشدّها إليه ماحياً ألمها بحنان أخرس.

– لم أجد ما أقوله لأن هذا الخبر صدمني. إنه خبر رائع يا تارا. أشعر وكأني ولد حصل على كل ما يرغب فيه في عيد الميلاد.

همس بذلك في أذنها وأنفاسه الدافئة تلامس خدها فأحاطت خصره بذراعيها بشدة، ثم رفعت نظرها إليه متسائلة: «لا مانع لديك إذن؟».

– أمانع؟ هل جننت يا امرأة؟

ثم رفعها عن الأرض ضاحكاً وأخذ يدور بها.

– دعني، يا ماك. إنك تسبب لي الدوار.

كانت المشاعر تتزاحم في قلبها، فتشبثت به ثم وقفت بهدوء وهي تقول: «على ضوء ما حدث لي سابقاً لن أدعي أن بإمكاني مواجهة هذا الأمر وحدي. ورغم أن غابرييل لم يعش إلا أنني كنت أعلم طوال مدة حملي أن الجنين بحاجة إلى أبوين. لم يكن سهلاً علي أن أعيش وحيدة، أواجه إمكانية أن أربيه بمفردي. هذه المرة عليّ أن أقوم بالأمر بشكل صحيح لكنني أريد أن أكون واثقة من أنك ستبقى معي طوال مدة الحمل. أعلم أننا سنمضي يوماً واحداً معاً من حين إلى آخر، فأنا لا أطلب الكثير من الضمانات. لكنني أريد أن أعلم أنك تعني كلامك حين تقول إن ما تريده هو أنا والطفل! أنا لا أريد أن تغرق في عملك حين تعود إليه، فتنسى تدريجياً عهودك لي».

نظر ماك إليها متأملاً وجهها الجميل الحزين، وتساءل مرة أخرى كيف استطاع أن يهجرها؟ ولهذه المدة الطويلة؟

وتملكه الفزع وهو يتذكر كيف سمح لعمله بأن يسيطر على حياته. منذ أخذ هذه الإجازة الطويلة، ابتدأ يقدّر ببطء البديل لتلك الحياة المجنونة المسعورة.

السباق في طرق الحياة رائع للبعض لكن ماك يعلم الآن أنه جحيم للصحة والمشاعر. عندما يعود سيبدأ بمنح ميتش مزيداً من

المسؤوليات، فهو لا يريد أن يكون موجوداً أثناء ولادة تارا وحسب، بل يريد أن يبقى معها معظم أيام حملها لكي يراقبها ويتأكد من حصولها على أحسن عناية يمكن أن توفرها لها نقوده التي حصل عليها بعرق جبينه.

– أقسم بأن أفي بكل وعودي من الآن فصاعداً. لعلي لم أكن أحسن زوج في الماضي، لكنك لن تتمكني من أن تسجلي لي أي خطأ في المستقبل. حسناً، ليس الكثير منها على أيّ حال.

وابتسم ابتسامة عريضة شيطانية، متابعاً: «سنكون أحسن والدين، وطفلنا لن يحتاج إلى أي شيء».

وماذا عني، يا ماك؟ تلهفت تارا إلى طرح هذا السؤال عليه، فكل ما تريده هو حبه. هل ستستمر في التلهّف إلى ذلك؟ فجلّ ما تحتاجه هي والطفل هو الحب. وهو الأمر الوحيد الذي لا يمكن لكل أموال العالم أن تشتريه.

أخذت تتلوّى لتخرج من بين ذراعيه، كابحة دموعها. وأرغمت نفسها على رسم ابتسامة مرتجفة على شفتيها: «أريد أن أتصل بالمستشفى لأسأل عن حالة بيث. شكراً لطهيك العشاء حتى ولو لم أتناوله».

فقال مقطباً: «وهذا أمر يجب أن يتغير أيضاً. . . عاداتك الغذائية فظيعة. أنت لا تأكلين ما يكفي لبقاء عصفور حياً. صباح غد سأبحث عن إخصائي تغذية وعن طبيب ولادة ثم أحدد لك موعداً مع كل منهما».

وتناول سترته فنفضها ثم قال باسماً: «سأحضر في الصباح الباكر لأفتح المتجر، لكننا سنقفل بعد الظهر. أمامنا الكثير من العمل، بما في ذلك زيارة سمسار عقارات لنبحث عن بيت. تصبحين على خير يا تارا. أنت تعلمين مكاني إذا احتجت إلي».

بقيت تنظر إلى الباب الذي أغلقه خلفه طويلاً بعد ذهابه، ورأسها يدور.

كانت قدماها تؤلمانها. ما كان لها أن تنتعل هذا الحذاء العالي الكعبين ذا الأربطة، لكنها لم تجد ما يناسب هذا الثوب الرائع الذي فاجأها به ماك طالباً منها أن تلبسه للعشاء. لقد خلعته خفية تحت المائدة ظناً منها أنها تستطيع انتعاله بسهولة حين يحين وقت الخروج. لقد أحضرها إلى لندن، إلى أحد أغلى وأفخم المطاعم في العاصمة، قائلاً لتارا إنه يريد الاحتفال معها بالمناسبة وإنّ وقتاً طويلاً مضى منذ احتفل بشيء ما. وكانا قد زارا عند العصر سمساراً وأصبح لدى ماك ملف لبيوت رائعة الجمال يمكنهما زيارتها حالما يختاران ما يعجبهما منها. وكان في مفكرة تارا موعدان جديدان، أحدهما مع أخصائي تغذية، والآخر مع أفضل طبيب ولادة في شارع «هارلي ستريت». وكلما نظرت إلى الموعد الثاني كان قلبها يخفق بعنف، شاعرة بنفسها وكأنها في حلم. وها هي تجلس الآن قبالة ماك إلى مائدة بيضاوية الشكل يعلوها شمعدان فضي، قائمة داخل كهف يعزلهما عن أعين الآخرين. ولولا كرهها للألم لقرصت نفسها للتأكد من أنها لا تحلم.

- لا أظنني رأيتك قط من قبل أجمل مما أنت عليه الآن.

ورفع ماك كأسه إلى شفتيه مفكراً ليرشف منها ثم يعيدها إلى مكانها.

- إنه الثوب.

وشعرت بوجهها يحمّر خجلاً وهي تتحسس بأصابعها فتحة عنق الثوب، متمنية لو أنها ليست بهذا الاتساع. بدا واضحاً أن ماك لا يشاركها رأيها لأن عينيه المعجبتين بقيتا مسمرتين على ما بدا من جسمها.

بدا رائعاً هو نفسه في بذلته الرمادية الشديدة الأناقة وقميصه القرمزي

وربطة عنقه السوداء.

كان رجلاً مثيراً للغاية بشعره الذهبي المسرّح إلى الخلف، ما جعل تارا تنبّه نفسها إلى ضرورة أن تتماسك لأن حواسها أوشكت على الذوبان.

أجابها بابتسامة ذات معنى: «لا، بل هي المرأة التي داخل الثوب بكل تأكيد».

- أنت أيضاً لا بأس بك في ثيابك.

انفجر ضاحكاً بصوت مرتفع. هذا التعبير الذي يحتمل التأويل يجعل أي إنسان يسمعها يظن أنها فتاة مراهقة متلهفة إلى الحب في أول موعد غرامي لها.

- كنت أفكر في استئجار بيت قرب بيت عمتك... لحين تمكننا من شراء بيت لنا.

- على أن يكون مريحاً كالفندق الذي أقيم فيه. لا أريد أن نبقى منفصلين عن بعضنا البعض أكثر من ذلك. لقد حان الوقت لنعيش معاً مرة أخرى... وبشكل دائم.

كانت تعلم أنه على حق، لكن هذا لم يمنع نبضات قلبها من التسارع. إنها تحبه إلى حد لا تستطيع معه أن تحتمل فشل علاقتهما، إذا عادا إلى العيش معاً.

رفعت تارا نظرها إليه، فتملكّها الاضطراب ونسيت شكوكها وشعرت أنه يحبها حقاً، وأنه لا يريدها فقط لتصحيح أخطائه الماضية، أو لأنها حملت بطفله مرة أخرى.

- أريدك أن تحافظي على صحتك أثناء حملك هذا.

تصلّب ظهرها والتمعت عيناها: «أنا قادرة تماماً على العناية بنفسي...».

- ماك، حبيبي. هذا أنت؟ أنا هنا مع باتريس. هل تتذكر أختي

باتريس؟ كنا نتحدث عنك لتوّنا، نتساءل عما إذا استطعت أن تقنع زوجتك العنيدة بأن تمنحك الطلاق، لتصبح حراً. آسفة. . . لم أنتبه إلى رفيقتك الجميلة هذه. . . ألن تعرفنا إلى بعضنا البعض، يا ماك؟

١١ - امرأة عنيدة

كانت الفتاة الفرنسية نسخة فنيّة طبق الأصل عن الممثلة أودري هيبورن. كانت ترتدي ثوباً بنياً قصيراً مائلاً إلى الحمرة، غاية في الأناقة ويفوح منها عطر فاخر، ما جعل تارا تشعر بأنها حقيرة الأناقة مقارنة بها. ولكن ما أزعجها فعلاً هو تعبير المرأة المهين: (زوجتك العنيدة). . . هل هذا ما قاله ماك عنها؟

جمدت نظراتها المجفلة وهي تنظر إليه، وسمعت أنفاسه المتسارعة. كان مرتبكاً للغاية لظهور صديقته السابقة، فلا بد أن هذه هي إميلي الشهيرة.

لم يعبأ بأن يقف لها احتراماً حسبما يقتضي حسن السلوك. وبدلاً من ذلك أخذ ينظر ببرودة إلى هذه الفتاة الفرنسية وكأنها لا تستحق أن يتكرم عليها بجواب. ورأت تارا وجه المرأة يحمرّ قليلاً تحت زينتها المكتملة وشعرت بالرثاء لها.

– أودّ لو أقول إنني مسرور لرؤيتك مرة أخرى، يا إميلي. لكن وفي هذه الظروف الراهنة، لا يسعني أن أقول هذا. لماذا لا تعودين إلى أختك وتدعينا أنا وتارا نستمتع بعشائنا بسلام؟

– إذن، فأنا لم أخطئ وهذه زوجتك. ألم تستطع أن تجعلها تحبك من جديد يا ماك؟ كنت متلهفاً للأبوّة، يبدو أن لديها من الصحة ما يجعل المرء يفكر في الأمومة.

وتحوّلت عيناها السوداوان اللامعتان بنظرة سريعة منتقدة إلى صدر

تارا المكشوف ثم إلى وجهها: «كل هذا اللحم الأبيض يجعل الشخص يفكر في خادمة. لا أظنني أريد أن أضحي بقوامي لأكون مكانها».

ألقت تارا بفوطتها على المائدة ووقفت وهي تقول: «أتسمين هذا قواماً؟ لقد رأيت أعمدة ذات مفاتن أكثر منه! أرجو المعذرة، فقد شعرت فجأة بحاجة إلى هواء نقي. جميل منك أن تمرّي بنا وتتحدثي إلينا، أنا وزوجي يا... آسفة... ماذا قلت اسمك؟».

وألقت برأسها إلى الخلف. وبحركة راقصة ومثيرة، شقت طريقها بين الموائد إلى استراحة السيدات، فالتفت الرجال في القاعة ينظرون إليها.

لم يحاول ماك أن يخفي متعته لرؤية هذا المشهد. أما إميلي الغاضبة فتمتمت بشتيمة ثم تحوّلت مبتعدة بقدر ما يسمح لها غضبها من رشاقة وأناقة.

وعندما أصبح ماك وحده، اتكأ إلى الخلف في كرسيه، وأرخى ربطة عنقه ثم زفر طويلاً. لو كان بإمكانه أن يوفّر على تارا شتيمة إميلي لفعل، لكن زوجته الشقراء الجميلة هزمت صاحبته السابقة، ما أدهشه.

الفتاة التي تزوجها تفتحت ولم تعد تلك الخجول ذات الثانية والعشرين التي تعرف إليها. أصبحت هذه المرأة الشابة القوية، الواثقة من نفسها التي لا تدير الرؤوس لمظهرها وحسب، بل لأن هالة من القوة تحيط بها وتثير انتباه الناس. وتذكر أنها أخبرته أنها فقدت ثقتها بنفسها بعد خسارتها طفلهما، وأنها شكرت الله عندما ابتدأت تستردها.

أمسك بكأس وهو يدرك أنه غارق في غرام تارا كلياً. إنّ المستقبل من دونها لا يمكن اعتباره مستقبلاً يستحق الاهتمام. وحمد لله لأنه منحه الآن هذه الفرصة ليمنحها السعادة وأقسم ألاّ يعبس أو يدع الكدر يتملكه مهما حدث. وبعد عشر دقائق، نظر إلى ساعته بقلق وحين مرّ به

نادل سأله إن كان بإمكان أحدهم أن يذهب إلى استراحة السيدات ليتفقد زوجته لأنها لم تعد إلى مائدتهما.

في غرفة الاستراحة المعطرة، بأحواضها اللامعة ومراياها المتألقة، سحبت تارا مناديل عدة من العلبة كما يسحب المشعوذ المناديل من كمه، ثم ناولتها إلى السمراء الجميلة التي جلست قبالتها على كرسي من الخيزران وهي تبكي.

تناولت الفتاة المناديل ومسحت أنفها بعنف، وعيناها الواسعتان البنيتان تنظران إلى تارا: «قلت له شيئاً فظيعاً. قلت له إن كان يحب العمل إلى هذا الحد، فلماذا ينتقل للعيش هناك؟ سأكون أفضل حالاً مع شريكة في الشقة. على الأقل سأجد من أخرج معه من حين إلى آخر. لقد حملق بي فقط وقال إنّ عليّ أن أكون أكثر تفهماً، وإنه يجتهد في العمل لأجلي... لأجلنا معاً، لنمنح طفلنا مستقبلاً أفضل. ثم... ثم خرج من المطعم و... وبقيت أنا هنا».

- هل أنت حامل؟

أومأت الشابة بتعاسة: «كنت سعيدة جداً عندما اكتشفت ذلك. لكنني الآن لا أريد سوى أن... أن أموت».

وانهارت مرة أخرى في نوبة من الشهيق والبكاء، وغطت وجهها بيديها فسال الكحل على عينيها بشكل جعلها أشبه بمهرج في سيرك.

أخذت تارا تملّس على شعر الفتاة الأسود، ثم أبعدت يديها عن وجهها بلطف وسألتها: «ما اسمك؟».

- سينيد.

- حسناً يا سينيد، أنا اسمي تارا وأنا حامل أيضاً. وقد يكون ثمة تعزية في قولي إنني أعرف ما تعانينه، كما أني أعاني من الكثير من المشاكل مع زوجي بسبب إدمانه على العمل. وبدلاً من أن أسعى إلى تسوية الأمور معه، أخذت أجول في الأنحاء كئيبة حزينة، شاعرة بأنني

مظلومة. كنت محقة من ناحية، ولكن ليس من كافة النواحي. المسألة هي...

وتوقفت وهي تدرك الشوط الطويل الذي قطعته لتنتقل من التعاسة إلى السعادة وتملكتها البهجة بالرغم من تلميح الفتاة الفرنسية اللعينة إلى أن ماك يريد تارا فقط لأنه يريد أولاداً.

هذا ليس صحيحاً، فكلما نظر ماك إليها هذه الأيام، كان حبه لها يتألق في عينيه، رغم أنه لم يصرّح بذلك بكلمة بعد.

وتابعت تقول: «عليك أن تستمري في التحدّث إليه. ابقي خطوط الاتصالات بينكما مفتوحة. لا تدعي الاستياء والغضب يدفعانك للإقدام على ما قد تندمين عليه طوال حياتك. طفلك بحاجة إلى أبوين... أبوين يحبان بعضهما البعض ويمنحانه أفضل بيت. صدقيني، إذا حافظتما على هدوء أعصابكما قليلاً، و احتفلتما بما جمعكما في المقام الأول، ستكونين في أحسن حال. ثقي بكلامي هذا».

كانت سينيد قد توقفت عن البكاء وأخذت تجفف دموعها بالمنديل الورقي ثم ابتسمت ابتسامة مرتجفة: «بول، زوجي، لديه حس فكاهة عالٍ فهو يجعلني أضحك دائماً. إننا منسجمان تماماً إذا لم نتشاجر».

وهزّت كتفيها بحزن، وشردت بها الأفكار لحظة ثم تابعت: «لقد جئنا إلى هنا الليلة لنحتفل بحملي، وأحضر معه هاتفه الخلوي. وعندما رن منذ دقائق، كان الاتصال من العمل يطلبون منه الحضور باكراً في الصباح. حسناً، أظن أنّ رد فعلي كان عنيفاً إذا قلت له إن عليه أن ينتقل بأمتعته إلى العمل ولا يعود أبداً إلى البيت. لم يهجرني قط من قبل. كان غاضباً للغاية... ماذا لو لم يعد أبداً؟».

رأت تارا العينين الكبيرتين تغرورقان بالدموع مرة أخرى، فشدّت على يدها باسمة وقالت بثقة: «سيعود طبعاً».

ودعت الله أن يصح كلامها ثم تابعت: سيغضب قليلاً، ثم لا يلبث أن يهدأ ويعود. أتظنين حقاً أنه سيحرم نفسه من وجبة ممتازة احتفالاً بطفلكما؟».

هزت سينيد رأسها وهي تتنهد.

- اسمعي. لماذا لا تعودين معي إلى مائدتنا؟ يمكنك أن تجلسي معي ومع ماك حتى يعود بول. ما رأيك؟

- هل ماك هو زوجك؟

- نعم، اسمه ماكسن. أبوه نرويجي.

- هل أنت واثقة من أنه لن يمانع؟

ووقفت ببطء ونظرت إلى المرآة ثم أخذت تسوّي شعرها.

- لن يمانع طبعاً.

انتظرت تارا حتى سوّت سينيد شعرها وأصلحت زينة وجهها وعندما همت بالخروج من الإستراحة إذا بنادلة أنيقة تطل برأسها من الباب ثم تسأل عما إذا كانت إحداهما السيدة سيمونسن لأن السيد سيمونسن قلق بعض الشيء عليها والعشاء أوشك أن يقدم.

* * *

- إنهما زوجان شابان لطيفان.

وعندما التفت إلى تارا وهي تندس بجانبه في السيارة، ثارت رغباته واشتدت أصابعه على مقود القيادة، مرغماً نفسه على التركيز على الطريق أمامه.

تمتمت وهي تنظر إليه: «كنت مسرورة جداً لأن بول لم يهجرها. كادت سينيد تنهار من البكاء في استراحة السيدات».

مضت ثوان عدة من دون أن ينطق ماك بكلمة فتململت تارا في مقعدها ثم قالت فجأة: «ماك؟ هل كل شيء على ما يرام؟».

- أليسا نسخة عني وعنك منذ خمس سنوات؟ غريب كيف أن

مظلومة. كنت محقة من ناحية، ولكن ليس من كافة النواحي. المسألة هي...

وتوقفت وهي تدرك الشوط الطويل الذي قطعته لتنتقل من التعاسة إلى السعادة وتملكتها البهجة بالرغم من تلميح الفتاة الفرنسية اللعينة إلى أن ماك يريد تارا فقط لأنه يريد أولاداً.

هذا ليس صحيحاً، فكلما نظر ماك إليها هذه الأيام، كان حبه لها يتألق في عينيه، رغم أنه لم يصرّح بذلك بكلمة بعد.

وتابعت تقول: «عليك أن تستمري في التحدّث إليه. ابقي خطوط الاتصالات بينكما مفتوحة. لا تدعي الاستياء والغضب يدفعانك للإقدام على ما قد تندمين عليه طوال حياتك. طفلك بحاجة إلى أبوين... أبوين يحبان بعضهما البعض ويمنحانه أفضل بيت. صدقيني، إذا حافظتما على هدوء أعصابكما قليلاً، و احتفلتما بما جمعكما في المقام الأول، ستكونين في أحسن حال. ثقي بكلامي هذا».

كانت سينيد قد توقفت عن البكاء وأخذت تجفف دموعها بالمنديل الورقي ثم ابتسمت ابتسامة مرتجفة: «بول، زوجي، لديه حس فكاهة عالٍ فهو يجعلني أضحك دائماً. إننا منسجمان تماماً إذا لم نتشاجر».

وهزّت كتفيها بحزن، وشردت بها الأفكار لحظة ثم تابعت: «لقد جئنا إلى هنا الليلة لنحتفل بحملي، وأحضر معه هاتفه الخلوي. وعندما رن منذ دقائق، كان الاتصال من العمل يطلبون منه الحضور باكراً في الصباح. حسناً، أظن أنّ رد فعلي كان عنيفاً إذا قلت له إن عليه أن ينتقل بأمتعته إلى العمل ولا يعود أبداً إلى البيت. لم يهجرني قط من قبل. كان غاضباً للغاية... ماذا لو لم يعد أبداً؟».

رأت تارا العينين الكبيرتين تغرورقان بالدموع مرة أخرى، فشدّت على يدها باسمة وقالت بثقة: «سيعود طبعاً».

ودعت الله أن يصح كلامها ثم تابعت: سيغضب قليلاً، ثم لا يلبث أن يهدأ ويعود. أتظنين حقاً أنه سيحرم نفسه من وجبة ممتازة احتفالاً بطفلكما؟».

هزت سينيد رأسها وهي تتنهد.

- اسمعي. لماذا لا تعودين معي إلى مائدتنا؟ يمكنك أن تجلسي معي ومع ماك حتى يعود بول. ما رأيك؟

- هل ماك هو زوجك؟

- نعم، اسمه ماكسن. أبوه نرويجي.

- هل أنت واثقة من أنه لن يمانع؟

وقفت ببطء ونظرت إلى المرآة ثم أخذت تسوّي شعرها.

- لن يمانع طبعاً.

انتظرت تارا حتى سوّت سينيد شعرها وأصلحت زينة وجهها وعندما همت بالخروج من الإستراحة إذا بنادلة أنيقة تطل برأسها من الباب ثم تسأل عما إذا كانت إحداهما السيدة سيمونسن لأن السيد سيمونسن قلق بعض الشيء عليها والعشاء أوشك أن يقدم.

* * *

- إنهما زوجان شابان لطيفان.

وعندما التفت إلى تارا وهي تندس بجانبه في السيارة، ثارت رغباته واشتدت أصابعه على مقود القيادة، مرغماً نفسه على التركيز على الطريق أمامه.

تمتمت وهي تنظر إليه: «كنت مسرورة جداً لأن بول لم يهجرها. كادت سينيد تنهار من البكاء في استراحة السيدات».

مضت ثوان عدة من دون أن ينطق ماك بكلمة فتململت تارا في مقعدها ثم قالت فجأة: «ماك؟ هل كل شيء على ما يرام؟».

- أليسا نسخة عني وعنك منذ خمس سنوات؟ غريب كيف أن

إصغائي إلى ما قاله بول عن عمله جعلني أدرك أي أحمق كنت حينذاك.

- كان حديثك معه رائعاً. وأظنه ساعده على أن يرى الأمور بمنظار مختلف، بالنسبة إلى الأولويات... وقد تذكر أن زوجته بحاجة إلى بعض الوقت منه هي أيضاً. أرى أن هذين الزوجين سينجحان، أليس كذلك؟

- أرجو ذلك. أتعلمين أنني كنت قلقاً عليك؟ عندما ذهبت إلى الاستراحة وبقيت فيها مدة طويلة... أعني، ربما حصل لك مكروه.

لاحظت توتراً مفاجئاً في كتفيه، فاستقامت في جلستها، واعتصر قلبها عندما أدركت ما يشير إليه.

- أتعني بالنسبة إلى الجنين؟ حسناً، أشعر بأنني على خير ما يرام. لقد أجريت اختباراً هذا الصباح للتأكد فوجدت أنني حامل. قد يبدأ غثيان الصباح في أي يوم الآن. ولكن وبحسب تجربتي السابقة، أعرف ما سيحصل ولهذا أنا لست قلقة للغاية.

- لا أريك أن تقلقي أبداً. موعدك مع الدكتور تشامبرلين صباح الإثنين وسيقوم بفحص كامل لك، وإذا كان لديك ما يشغل بالك فتحدثي إليه عنه.

- ماك؟

- ماذا؟

- لأن... لأن غابرييل مات بذلك الشكل، لا يعني أن الأمر نفسه سيحصل لهذا الطفل... أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟ لقد أخبرني الطبيب في المستشفى أن هذا لا يتكرر مرتين.

كاد ماك يختنق بمشاعر القلق والندم: «هذا جيد، ومع ذلك... سأحرص على أن تحصلي على أفضل رعاية طبية ممكنة... لن نغامر. كما لن تحملي أيّ غرض ثقيل الوزن في المتجر. إذا احتاجت بيث إلى عون، فيمكنها أن تطلب ذلك مني. بالمناسبة، عليّ أن أذهب غداً لرؤية

بيت معروض للإيجار، ورأيت أنك قد تودّين مرافقتي».

- هل نسيت أن بيث ستعود إلى البيت عصر هذا اليوم؟

- يُفترض بي أن أذهب لأحضرها. كيف نسيت هذا؟

- راجع نفسك.

- تارا؟

- همممم؟

وغاصت في مقعدها الجلدي الفخم مرة أخرى، ونظرت إليه بعينين نصف مغمضتين.

- أنا آسف لحضور إميلي إلى المطعم بهذا الشكل، وأكثر أسفاً لما قالته. أتعرفين أنها قالت ذلك لأنها تحبني كثيراً؟

- استنتجت ذلك بنفسي يا ماك. على أيّ حال، استطعت أن أواجه ذلك بقوة.

- هذا صحيح إلى حد كبير.

وكان لا يزال يبتسم وهو ينعطف إلى طريق البيت.

دخل ماك إلى غرفة الجلوس في بيتهما المستأجر حديثاً، فرأى زوجته تحاول الوصول إلى الرف العلوي من المكتبة لتمسح الغبار عنه. كانت تلبس تنورة سوداء قصيرة وبلوزة وردية، وجوربين أسودين محبوكين وتنتعل حذاءً خفيفاً للرقص، وعند رؤية هذا المشهد المغري تحركت رغبة ماك وقضت على تحكّمه بنفسه على الفور. فصعد خلفها وطوّق خصرها بذراعيه: «أتعرفين أن رائحتك رائعة؟».

- همممم... هو ذا أنت.

وأخذت تتململ بين ذراعيه وعيناها الجائعتان تنظران إلى الإبتسامة الكسول على شفتيه.

لم تستطع مقاومة مثل هذا الإغراء، فوقفت على أطراف أصابعها لتطبع قبلات صغيرة على وجهه. في الواقع، ومنذ انتقلت للعيش مع

www.romancia.com

ماك، لم تعد تستطيع أن تتركه وحده، وهو لا يشكو من ذلك.

لكنها دهشت وخاب أملها عندما أمسك بمعصمها يبعدها عنه.

تركها فجأة مزمجراً: «هذا لا ينفع، يا تارا».

- ماك؟ ماذا حدث؟

أتراها تجاوزت الحد؟ ما الذي عليها ألاّ تفعله؟ وتملكها القلق، هل مطالبة المرأة بحقوقها تطفئ من رغبة الرجل؟ منذ عودتهما إلى بعضهما البعض، أخذت تتخلى عن حذرها تدريجياً، كاشفة عن جوانب من شخصيتها كانت تخفيها من قبل، محدثة نفسها بأن تثق به، وتؤمن به. كان رجلاً ممتازاً، وهو لا يمكن أن يؤذيها كما آذاها من قبل... إنه يهتم بها كثيراً. لكنها وجدت نفسها فجأة تغرق في موجة مفاجئة من الشكوك. وتملكها الذعر من أن تكون قد قالت أو فعلت ما جعله يتراجع. وشبكت ذراعيها على صدرها وانتظرت تفسيره بلهفة.

سمعته يشتم بصوت خافت أو على الأقل، افترضت أنه شتم! كان من الصعب أن تتأكد ما دام تكلّم بلغته الأم.

قال وهو يحك رأسه وكأنه متلهف إلى حل ما يضايقه: «أظن أنّ علينا أن نضع بعض القواعد الأساسية».

وضعت يديها على وركيها وقد ازدادت حيرتها.

- أظن أن علينا أن نتنبه من أي نشاط زائد، فقد لا يكون هذا حسناً للجنين.

أوشكت تارا أن تقهقه عالياً لولا ما بدا عليه من جدّية فقالت محاولة التخفيف من حدة صوتها، رغم أنّ هذا ليس سهلاً إذ كانت هستيريا الضحك تتهددها: «وأين سمعت هذا؟».

- هذا منطقي، أليس كذلك؟

وبدا الشك في وجهه وتسلّل إلى قلب تارا شعور دافئ: «أحقاً؟».

وعضت شفتها تمنع نفسها من الإبتسام.

- على أيّ حال، قال الدكتور تشمبرلين إنه من المهم أن ترتاحي في الأشهر الثلاث الأولى. لا أريدك أن تتعبي نفسك بأعمال البيت وما شابه، لهذا اتصلت بوكالة واتفقت معهم على إرسال خادمة للقيام بالأعمال المنزلية. والآن لما لا ترفعين قدميك فيما أعدّ لك كأساً من شاي الفواكه اللذيذ الذي اشتريناه من متجر المنتجات الصحية؟

- تباً، يا ماك! لا أنا لا أريد شاي الفاكهة! إنه يشعرني بالغثيان أعطني أي شيء بدلاً من هذا الماء المعطر! على أيّ حال، نحن لا نتحدّث عن الشاي هنا، أليس كذلك؟

وأخذت تذرع الغرفة رواحاً ومجيئاً وكأن الحركة ستساعدها على التخلص من الأفكار التي تغلي في دماغها.

- أنت تعاملني وكأنني كأس من زجاج منذ أخبرتك أنني حامل. هذا جميل منك لكنني لا أحتاج إلى هذا الاهتمام كله. إن الحمل ليس مرضاً، وأنا أعرف كيف أعتني بنفسي. لدينا خزانة مليئة بأطعمة غريبة رائعة من متجر المنتجات الصحية، أطعمة لا يمكنني أن آكلها حتى ولو كنت أعيش على جزيرة مهجورة! إنني متلهفة لتناول طعام طبيعي، سمك وبطاطا مقلية، سجق، كاري وأرز. وكأن هذا النظام الصحي الذي فرضته عليّ ليس سيئاً بما يكفي، ها أنت تحاول الآن أن تحدّ من الشيء الوحيد الذي يسعدني حقاً، وهذا ما لن أفعله. هل فهمت يا ماك؟

يا لله... ما أجملها وهي غاضبة! وحدّق إلى زوجته بتركيز صبي يتأمل واجهة متجر يبيع الحلوى، وحاول أن يتحكم في تسارع أنفاسه. مهما بلغت رغبته فيها، ومهما بلغ عدد حمامات المياه الباردة التي عليه أن يتحملها في الشهرين القادمين، فهذا ثمن قليل يدفعه ليتأكد من أن تارا في صحة جيدة وبعيدة عن أي خطر... وتملكه السرور وهو يرى رغبتها فيه بقدر رغبته فيها، لكنه لن يعرّض الجنين للخطر لمجرد أنه لا

يستطيع أن يتحكم في نفسه. هذا ليس حمل تارا الأول. لقد انتهى حملها الأول بكارثة لا يمكن أن يتصور أسوأ منها، ومهما قال الأطباء إن تكرر ما حدث معها نادر للغاية، إلا أن احتمال حدوثه أكبر من أن يريد ماك أن يفكر فيه.

– علينا أن نتعقّل يا تارا... وهذا كل ما أقوله. والآن إذا كنت لا تريدين شرب الشاي، فما رأيك بأن نزور بيث لنسألها عن حالها؟ لا أحب فكرة أن تكون وحدها في المتجر على كرسي متحرك. أعرف أن بيتر ترنت وعد بأن يرعى الأمور في المتجر، لكنني واثق من أنها ستسرّ بعض الصحبة المألوفة، ألا توافقينني؟

ابتلعت الإحباط الذي شعرت به، وسارت إلى الباب: «أكره أن أراك منطقياً ومراعياً للآخرين بهذا الشكل».

وخرجت، وسمع ماك صدى خطواتها على درجات السلم تضرب بعنف وكأنها تودّ أن تضرب رأسه هو. هز رأسه وهو يفكر في صعوبة العيش مع امرأة تتحكم فيها هرموناتها.

– كم كان لطيفاً. لا أستطيع الوصف.

وارتشفت بيث رشفة من كوب الشاي ذي الرائحة العطرة ثم ابتسمت بتحفظ وهي تنظر إليهما عبر المكتب. كانت نظراتها تشرد أحياناً إلى الخارج، نحو المكتبة القائمة عبر الشارع فرفعت تارا حاجبيها بحيرة ونظرت إلى ماك متسائلة. هز كتفيه بابتسامة عريضة وكأنه يقول لها إن تخمينها يتطابق مع تخمينه.

– هل نحن نتحدث هنا عن بيتر ترنت؟ الرجل المملّ الذي لا يرفع رأسه عن الكتاب ولا ينظر مرتين إلى المرأة حتى لو دخلت إلى مكتبته عارية... إنه بحاجة إلى... شخصية جديدة؟ هذه كانت كلماتك وليست كلماتي، دعيني أذكرك بها.

احمرّ وجه العمة كأنها فتاة صبية، ثم وضعت كوبها على المكتب

وتنحنحت: «هل قلت أنا هذا؟ على المرء ألاّ يحكم على الكتاب من غلافه. لنقل إنّ الفرصة أتيحت لنا للتعرف إلى بعضنا البعض، بشكل أفضل أثناء زياراته لي في المستشفى. ليس لدي مانع في الاعتراف بأنني أسأت الحكم على الرجل بشكل بالغ. إننا متشابهان في أمور كثيرة إذا شئتما أن تعلما... فنحن نحب الأفلام نفسها، ونحب المسرح والباليه طبعاً... كما أننا نتشارك في حب الطعام التايلاندي. في الواقع، سيأخذني غداً لتناول العشاء في مطعمي التايلاندي المفضل. لهذا، لا داعي لأن تقلقا عليّ، استمرا في حياتكما. فلا يفصلني عن بيتر سوى الشارع، وهو دوماً يأتي ليرى إن كنت أحتاج شيئاً».

فقالت تارا وهي تنظر بشك إلى الجص السميك الذي يطل من تحت حاشية ثوب عمتها: «هل أنت واثقة من قدرتك على الخروج؟ لم تخرجي من المستشفى منذ وقت طويل».

– يقول بيتر إن بإمكاننا ذلك. إذا أمكنك أن تأتي إليّ قبل الموعد بساعة لتساعديني على اختيار ثوبي، فسيكون كل شيء على ما يرام.

– طبعاً يمكنني ذلك.

– حسناً، اتفقنا إذن.

– هذا عظيم... عظيم جداً يا عمتي، ولكن إذا احتجت لأي شيء... أي شيء، فأنت تعرفين أين نقيم.

لم تستطع أن تمنع ظهور عدم الثقة في لهجتها. إن الأمور تتغير بسرعة... أمور لم تكن تحلم بها منذ شهر. إنها بحاجة إلى بعض الوقت لتتأقلم. غمزت بيث بعينيها قائلة: «لاحظت أنك تتكلمين غالباً بضمير الجمع، فهل أفهم من هذا أن الأمور تسير جيداً بينكما في منزل آل سيمونيسن؟».

– باستثناء مبالغة ماك في الاهتمام بي؟

حاولت أن تظهر عدم اهتمامها، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من إلقاء نظرة حنان على ماك الواقف بجانبها. وعندما ضحك لها، اشتبكت عيناه بعينيها. وقالت بيث: «أنا مسرورة لسماع ذلك، فهذا بالضبط ما تحتاجه كل امرأة على عتبة الأمومة... أعني رجلاً طيباً».

وألقت على ماك نظرة ذات معنى، وسرى بينهما نوع من التفاهم الصامت خفي على تارا. وعادت بيث تقول: «لا تتذمري يا حبيبتي. وبالمناسبة، هل تأخذين الفيتامينات اللازمة وتأكلين بشكل مناسب؟ هل تفعل هذا كله، يا ماك؟».

– أنت تعرفين المثل القائل: (يمكنك أن تأخذ الحصان إلى الماء، لكنك لن تستطيع أن تجعله يشرب) وأظن أنّ هذا يلخص الوضع الحالي.

وابتسم للمرأتين وهو يزيح شعره عن جبينه، فقالت العمة بمحبة: «أعرف أن بإمكانها أن تتصرف بعناد بالغ. لكن الآن، مع قدوم الطفل، أظنها ستوافق على أنها بحاجة إلى رعاية».

فعبست تارا: «رعاية؟ أتعلمين كم أصبحت أشمئز من هذه الكلمة؟ سألد طفلاً... ولست مريضة!».

– هذا صحيح.

وإزاء سخط زوجته، شعر بالامتنان إذ أصبح له حليف قوي هو عمتها. فقد يتمكّنان معاً من أن يجعلا تارا تفهم أنهما لا يفعلان هذا إلا لمصلحتها، لكن عندما اختلس نظرة إلى ملامحها الشرسة أدرك أن ما يفعله لن ينجح أبداً.

١٢ - لن أخونك!

– كفى عبوساً في وجهي! أتعلم أن هذا يزيد تجاعيد وجهك عندما تكبر في السن؟ هيا، أرقص. أنا لم أجرّك إلى المدينة لكي تمضي الليل عند الباب.

فأجاب راج وقد توترت ملامحه وهو ينظر إلى باحة الرقص المزدحمة: «ما كان لي أن أصغي إليك أبداً. أنت تقنعيني أحياناً بما يتنافى مع قناعاتي. ماذا سيظن زوجك حين أوصلك إلى بيتك لاحقاً؟».

أخمدت القلق الذي عاد للظهور والذي لاحقها منذ خطرت لها فكرة الطلب من راج أن يرافقها للرقص، وألقت رأسها إلى الخلف تنبذ هذه الأفكار، محدثة نفسها بأن على ماك أن يتقبّل ذلك شاء أم أبى، لأنها لن تتخلّى عن رغباتها من أجل أي شخص. لقد سلكت طريق الجبناء وأخبرته أنها ستزور صديقة حيث ستقضي السهرة التي تقتصر على النساء في المنزل وتتفرج على الأفلام. لكن المزاج الذي يتحكّم بماك مؤخراً سيجعله يثور عليها، لاسيّما إذا علم أنها خرجت مع راج، مهما كانت صداقتهما بريئة، فماك لا يؤمن بوجود صداقة بريئة بين رجل وامرأة.

– لماذا لا تدع أمر ماك لي؟

وشدّته ليقف ثم جرته إلى حلبة الرقص. وعندما تصاعدت أنغام الموسيقى الحديثة في الأنحاء، استسلمت لحاجتها لتحريك جسدها،

نابذة كل شيء آخر من ذهنها.

أوقف راج السيارة ثم استدار لينظر إلى تارا. كانت قد نامت طيلة الرحلة إلى بيتها، متكوّمة في مقعدها بجانبه أشبه بطفلة، وقد تشعث شعرها الأشقر الناعم وارتفع ثوبها الأسود القصير المطرز بعض الشيء. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يلاحظ فيها راج أن ساقيها رائعتان. كانت أجمل فتاة في النادي من دون شك ما أثار فيه الرغبة في حمايتها كلما لاحظ رجلاً ينظر إليها باهتمام.

وتنهد معترفاً بأنه غيور قليلاً من ماك، وهذا هو السبب الذي جعله يخالف مبادئه ويوافق على أن يخرج معها الليلة من دون علم زوجها. سيقتله أبوه لو علم بذلك، كما ستنهال عليه أمه بالسباب.

- تارا تارا! استيقظي! وصلنا إلى البيت.

وأخذ يهزها بشيء من القنوط. وخفق قلبه عندما فتحت عينيها الكثيفتي الأهداب، ثم أخذت تتمطى وتتثاءب. انتصبت في جلستها بصعوبة، وراحت تحدق من خلال الزجاج الأمامي إلى المنزل الفسيح ذي القرميد الأحمر في نهاية الطريق الموصوف بالحصى. كانت سيارة ماك اللامعة تقف بوقار أمام المنزل فتملكها القلق. عليها الآن أن تواجه ماك، إلا إذا خلد إلى النوم.

- شكراً يا راج. لقد أمضيت وقتاً طيباً للغاية. أنت ملاك.

قال رفيقها: «هيا ادخلي! قد يرانا زوجك».

والتفت ليرى إن كان زوجها يطل من إحدى النوافذ العديدة. كان المنزل فسيحاً مهيباً، من نوع المنازل الذي ينوي أن يقتنيه ذات يوم مع عروسه.

سألته وهي تهز كتفيها: «ما بك؟ إنه يعلم أننا مجرد صديقين».

- أحياناً، يا تارا، أنت تعتبرين الأمر مسلّماً به أكثر مما ينبغي.

- ماذا؟ هل تعني أنك لست صديقي؟

- لا تفسّري كلماتي على هواك!

وضرب وسط عجلة القيادة بيده محبطاً: «ما أقوله هو أنك تتصرفين معي أحياناً بإلفة أكثر مما يجب. إنني مجرد رجل وأنت جميلة للغاية، ومثل هذه الإلفة قد تقود إلى وضع خطير للغاية إذا لم نكن محترسين».

كانت تدرك صحة ما يقول، وتملكها شعور خفيف بالخزي. لكنها سمعت أيضاً بوضوح نصيحته لها بالاحتراس والتحكم في نفسها، فتملكها غضب بالغ. لم يلمسها ماك منذ حوالى أسبوع ما ولد لديها شعوراً بالإحباط والحاجة إلى مزيد من الاتصال الحميم، وجعلها تميل ببطء عن الطريق السويّ... وها هوذا صديقها الحميم وحليفها ينصحها بأن تتحكّم بنفسها. ورأت أنه لم يعد بإمكانها احتمال المزيد.

- أتعلم يا راج؟ في الحياة، عليك أن تغامر أحياناً. هل كانت «إيلين ماكارثر» لتدور حول الكرة الأرضية لو اعتمدت الحذر؟ وهل كان «إدموند هاليري» وصل إلى قمة جبل «إفرست»؟ وهل كنت لأحمل مرة أخرى من ماك لو لم أجازف بقلبي وكرامتي؟ فكر في ذلك. شكراً لإحضاري إلى بيتي وإلى اللقاء.

وقفت أمام الباب وأخذت تلوّح لراج حتى غابت سيارته عن النظر، فتملكها الذعر وجفّ فمها. الجرأة في إشباع نزوة طارئة هو شيء، ومواجهة نتائج هذه الجرأة شيء آخر. إن ماك يفعل ما يظنه الأفضل لها، وهو لم يتعمّد جعل حياتها صعبة حين اقترح أن تهدأ وتقلل من حركتها. كان يفكر فيها وفي الطفل ما يجعله يستحق أن تخبره الحقيقة عن المكان الذي قصدته الليلة. وتمتمت تحدث نفسها باستخفاف وهي تفتح الباب، أنه يكفيها تبجحاً وتظاهراً بالشجاعة.

كان السكون يعمّ في المنزل باستثناء دقات ساعة أثرية أهدتهما بيث إياها للبيت الجديد. خلعت حذاءها وألقت بمعطفها على كرسي وبحقيبة يدها على منضدة بجانب الباب، ثم غامرت بالتوجه ببطء ناحية

الصوت: «إذن، فقد قررت أخيراً العودة إلى البيت؟».

كانت لهجة ماك الخداعة بنعومتها أشبه برنين جرس مفاجئ بجانب أذنها. أخذ قلبها يخفق بسرعة وتخللت شعرها بأصابعها وأخذت تحدق غير مصدقة في ذلك الشبح الجالس على كرسي بذراعين عند المدفأة، وقد انعكس عليه وهج الجمر فبدت بشرته بلون ذهبي. كان يلبس سروالاً أزرق وقميصاً مقفلاً رمادي اللون زاد من ظهور عضلاته القوية، فمثّل كل جبروت الذكر ما حرّك مشاعر الأنثى لدى تارا.

- ما كان عليك أن تنتظر.

هل هذا صوتها أم صوت فأرة؟

- أصحيح هذا؟

ونهض ووقف أمام النار وقد بدت القسوة في ملامحه: (هل أمضيت وقتاً طيباً؟»

كان الألم في قدميها يزعجها، فقد رقصت طويلاً، حتى أنّ راج تذمر من أنها لم تكد تجلس طوال السهرة. لكن هذا هو تأثير الموسيقى فيها، فهي تلامس روحها وتجعلها تذوب في حرارتها. . . لقد كانت راقصة يوماً. . . وستبقى راقصة دوماً.

جابت: «نعم لقد أمضيت وقتاً جيداً لكنني متعبة الآن، وأريد أن أذهب لأنام إذا لم يكن لديك مانع».

- ليس بهذه السرعة.

وعندما اتجهت إلى الباب، قفز كالفهد ومدّ يده بسرعة يمسك بذراعها ويديرها إليه: «أخبريني أين كنت حقاً يا تارا لأني أعلم جيداً أنك لم تلبسي هذا الثوب لتمضي السهرة أمام التلفزيون عند صديقتك تتفرجين على أفلام».

لو رأى الثوب قبل أن تذهب، لما غادرت البيت قط. لكنها ارتدت معطفها فوقه قبل أن تلقي عليه تحية المساء وتخرج.

لم تشأ أن تكذب واحتقرت نفسها لمجرد التفكير في ذلك، فحاولت نزع ذراعها منه، وعبست بشراسة عندما لم يتركها، ثم صرخت به: «لا أدري لماذا تجعل من هذا الأمر قضية كبيرة! كنت مع راج. هل لديك مانع؟ إنه صديقي. منذ حملت لم تعد تدعني أفعل شيئاً فيما لديّ الكثير من الطاقة المكبوتة التي لم أعرف ما أفعل بها، فطلبت من راج أن يأخذني إلى نادٍ ليلي في لندن. ما كنت أريده هو أن أسمع الموسيقى وأرقص. هل هذه جريمة؟».

- لقد كذبت عليّ.

- لم أتعمّد ذلك، لكنني لم أشأ أن أكدرّك.

- أنا غير متكدر الآن؟

كان كدره مكبوتاً بشكل واضح، وقد عرفت تارا ذلك من توتر فكه. ولم تكن من الحماقة بحيث تقلل من شأنه فهي تعلم أنه، وخلف هذا الهدوء الخدّاع، يغلي. . . وهو محق.

- أراك غير مسرور.

آلمها ذراعها تحت قبضته، وشعرت بشرارات كهربائية تسري في عروقها، ما جعلها تشعر بالدوار. تباً لذلك! يا له من وقت لتشعر فيه بالإثارة!

- هذا صحيح. أنت حامل يا تارا، وعليك أن تنتبهي وأن ترتاحي. أما الذهاب إلى نادٍ ليلي وقضاء الليل في الرقص، فهو استخفاف بما أوصاك به الأطباء، الذين طلبوا منك التزام الهدوء. . . فأي شيطان سكنك؟ ولِمَ قلت لرجل آخر أن يرافقك؟ أي لعبة كان يلعبها بحق جهنم؟

وجن جنون ماك من الغيرة. ماذا يعني هذا بالضبط؟ لا يهمه إذا ما تزوّج الرجل زواج مصلحة في الهند. . . فإذا تحركت هورموناته فلا بد أن تجذبه تارا بهذا الثوب المثير الأسود الذي ترتديه، إذ بدت فيه

www.elromancia.com

كحورية البحر الشقراء، ووحده الرجل الميت لا ينجذب إليها.

- لا تبدأ بلوم راج.

- تبدين متلهفة للدفاع عنه. ما من رجل عاقل يفكر في اصطحاب زوجة رجل آخر للرقص من دون علمه! هل صداقتكما هذه تعدّت حدود الصداقة؟ أجيبي يا تارا. أريد أن أعلم.

بدا عليها الهدوء البالغ، بينما راح عقلها يفكر بسرعة: «لا أصدق أنك قلت هذا لتوّك. كيف يمكنك أن تحوّل علاقة بهذه البراءة إلى شيء آخر بهذه... القذارة؟ هذا يجعلني أحتقرك».

فأجاب بصوت بالغ الهدوء: «لن تتمكني من الهروب من السؤال بسهولة. أجيبيني».

جعلتها قوة مشاعرها ترتجف: «لا. لم أعاشره... ولم أعاشره يوماً! إنني حمقاء لأني بقيت عزباء خمس سنوات. أنا واثقة من أنك غير قادر على التحكم في نفسك بهذا الشكل! لكن الموضوع هنا ليس اللوم أو الإتهام، أليس كذلك يا ماك؟ الموضوع موضوع ثقة... أو عدمها. لقد وثقت بك بما يكفي لأعود إليك مرة أخرى وأنا أؤمن بأن بإمكاننا أن نعيش حياة زوجية حقيقية. ولكن كيف يمكننا أن نفعل ذلك بينما أنت لا تثق بي إذا غادرت المنزل وحدي؟ أو حتى تتهمني بمعاشرة رجل ذي مفاهيم غبية مثل راج؟ ألم تسمع ما قلته عنه إنه خاطب وسيتزوج قريباً؟ كل هذا يشير إلى أنك لا تثق بي حتى لرعاية نفسي! أنت تعاملني كطفلة منذ أخبرتك أنني حامل. أتعتقد حقاً بأنني سأقدم على تصرّف أرعن يشكل خطراً على الحمل؟ أنا أعرف كيف أهتم بنفسي يا ماك. ماذا تظنني كنت أفعل طيلة السنوات الخمس الماضية؟ أتظنني توقفت عن العيش لأنك خرجت من حياتي؟ قد لا تبدو حياتي مثيرة للغاية بالنسبة إليك، لكنني من يتخذ القرارات فيها. إنني امرأة ناضجة ولست فتاة صغيرة».

أدرك ماك وهو يصغي إلى كلماتها المحمومة، أنه ارتكب خطأ كبيراً. لم يسبق أن رأى منها ما يضعف ثقته فيها، وتارا التي يعرفها لطالما كانت صادقة وواضحة، حتى لو لم يشأ أحياناً أن يسمع ما تريد قوله. أما كذبها عليه الليلة حول المكان الذي قصدته فهذا يعني أنه دفعها إلى ذلك بنفسه.

- أخذني راج لأنني توسلت إليه. إذا كان الرقص يسعدني، فكيف يمكن أن يتسبب بأي ضرر؟ إنه جزء مني، يا ماك. أتريد أن تغيّر ذلك؟ لا يمكنني أن أجلس في البيت وألعب دور الزوجة الصغيرة، المطيعة. لقد فعلت ذلك في البداية، فجلست في البيت ليلة بعد ليلة، متخلّية عن حياتي الاجتماعية، ولا أريد أن أقوم بذلك مرة أخرى. أريد أن أصرف طاقتي في شيء ما.

- ولماذا لم تطلبي مني أن آخذك إلى الرقص؟

- وهل كنت ستقبل؟

- سآخذك إلى أي مكان تريدينه ما دمت واثقاً من أنك بأمان.

عضت شفتها وحوّلت عينيها عن نظراته الثاقبة: «هذا حسن. وربما سأفعل ذلك في المرة القادمة، ولكن عليك أن تثق بي. عليك أن تخفف من تحكّمك الشنيع هذا».

- هل أتحكم بك حقاً؟

وترك ذراعها ثم أخذ ينظر إليها وهي تحرّكها ليجري الدم فيها، فتملكه الندم على الفور لإمساكه بها بهذه الشدة.

- إذا كان الوقت ملائماً...

- فليكن ذلك.

لماذا لم تلتزم الصمت؟ وتسارعت أنفاسها ونظرت إلى ماك متحدية: «ما معنى هذا بحق جهنم؟».

- هذا ما عليّ أن أعرفه، وما عليك أن تكتشفيه.

ومن دون سابق إنذار، حملها بين ذراعيه واتجه بها نحو السلم، وشعرت تارا بقوته الفولاذية تطوقها ما بعث في كيانها مشاعر لا تحصى.

قالت له آمرة: «أنزلني!» لكن صوتها كان ينقصه الإقتناع، حتى في أذنيها.

لمعت عيناه الزرقاوان وأطلق ضحكة عميقة: «أتظنينني مسيطراً؟ سأريك السيطرة، يا حبيبتي».

* * *

بعد وقت وهي بين أحضانه، اغرورقت عيناها بالدموع لسبب لا تعرفه. وعندما انهمرت على خديها زاد ماك من احتضانه لها وسألها: «ماذا جرى، يا حبيبتي؟ ما بك؟».

- أواه يا ماك. أنت رائع.

بكت على كتفه، مستمتعة سراً بقربه.

هدمت كلماتها آخر حاجز وضعه ماك أمام قلبه فأزاح شعرها عن عينيها ونظر إلى وجهها بحنان، هذا الوجه الذي يحبه أكثر من أيّ شيء آخر في العالم: «أحب أن أسعدك. أنا أحبك يا تارا. لا أظنني قلت هذا منذ عودتي. حبي لك هو السبب الذي جعلني أريد أن نعيش معاً من جديد. عندما رأيتك في المتحف، شعرت وكأن عقارب الساعة عادت إلى الوراء، إذ تسارعت خفقات قلبي حتى ظننتني سأصاب بنوبة قلبية».

- وأنا انتابني الشعور نفسه.

أسرعت في الاعتراف بهذا والفرح يغمرها بعد أن أثبت لها مارك نهائياً أنه يحبها وأنه لم يسعَ إلى الصلح للتكفير عن غلطته الماضية وتابعت تقول: «حبي لك لم يتوقف قط يا ماك أثناء السنوات الخمس التي افترقنا فيها. أعلم أنني أحد الأسباب التي جعلتك تهجر البيت

بتذمري الدائم لطول ساعات عملك. كان يُفترض بي أن أظهر مزيداً من التفهم لكن كل ما رأيته هو أنني كلما احتجت إليك لم أجدك بجانبي. ستتحدث مستقبلاً عن الأمور الهامة بالنسبة لكل منا وهذا وعد مني. أتعلم أنني، طوال مدة انفصالنا، لم أستطع حتى أن أنظر إلى رجل آخر، فكيف بأن أفكر في علاقة أخرى؟».

سمع زوجها تصريحها العاطفي هذا فأدرك أن لا مجال لتبادل الإتهامات، وأن صفحة جديدة نظيفة قد فُتحت بينهما. يمكنهما الآن أن يحصلا على الزواج الذي حلما به في بداية تعارفهما، وقدوم الطفل الجديد سيساعد على اكتمال سعادتهما. لن ينسى أبداً الطفل الذي خسراه، فطفلهما ذاك لم يُخلق عبثاً لأن معرفة ماك بولادته جعلته يدرك أنه لا يريد أن يخسر تارا مرة أخرى أبداً. وحالياً، أصبح المستقبل الذي كان يتصوره لنفسه منذ شهر واحد فقط، أكثر تألقاً.

وأجاب: «لا يمكنني أن أقول إني لست سعيداً بكلامك هذا، ولكن مجرد التفكير في أنك مع شخص آخر...».

- ما كان لك أن تظهر هذا القدر من الغيرة، فأنا لن أخونك أبداً.

- أعلم هذا الآن. في الواقع، أظنني كنت أعلم هذا دوماً.

- لا بأس بقليل من الغيرة، لكنني لا أريدك أن تضايق راج إذا رأيته. إنه صديق طيب وأنا من أصر على أنّ يأخذني للرقص رغماً عنه. لقد أمضى السهرة تعيساً لأنه كان قلقاً مما ستقوله إذا عرفت.

- إذن، طالما أنه كان تعيساً، فيمكنني أن أعامله بشهامة.

وقرص خدها ضاحكاً بعطف.

قبّلته على كتفه ونظرت إليه مداعبة: «على أيّ حال، أظن أنّ علينا أن نراجع مبادئك الأساسية، وهذه المرة علي أن أزيد عليها بعض النقاط».

- أعترف بأني منفتح على التسوية.

- لا يمكنك أن تصل إلى ذلك من دوني.

- حسناً، اتفقنا سيدة سيمونسن. هذا رائع، فما زال أمامنا عمل لم يته بعد ونريد أن ننهيه.

فاتسعت عينا تارا: «أصحيح هذا؟»

- نعم، صحيح، يا حبيبتي.

الخاتمة

فتح ميتش وليامز باب قاعة الاجتماعات ووقف يتفحص بسرعة وجوه الجالسين حول الطاولة المستطيلة قبل أن يركّز على الرجل البالغ الأناقة الجالس على رأسها.

- ماذا حدث يا ميتش؟

لابد أن أمراً هاماً دفع كبير معاونيه إلى مقاطعة اجتماعه مع زبون بالغ الأهمية، وموظفيه. ومدّ ماك يده إلى جيبه ليتأكد من وجود هاتفه الخلوي.

لقد اعتاد ألاّ يتركه مفتوحاً أثناء الإجتماعات، لكن ونظراً للظروف الراهنة، لم يشأ أن يترك شيئاً للصدف.

- إنها تارا.

كان هذا كل ما قاله ميتش قبل أن يجتاز ماك القاعة ويصبح بجانبه، والقلق بادٍ عليه: «ماذا حدث؟».

أخذ الدم يهدر في أذنيه ولعن نفسه لأنه أصغى إلى زوجته هذا الصباح التي أصرّت عليه بأن يذهب إلى عمله لأنها تعد تستطيع احتمال طوافه في البيت. لقد أكدّت له أنها ستكون في أحسن حال، وأن عليه ألاّ يقلق لأن موعد ولادة الطفل بعد أسبوع على الأقل. على أيّ حال، كانت ستمضي النهار مع عمتها في المتجر، وهكذا يمكنها أن تحصل على العون إذا احتاجته.

- إنها في مكتب الاستقبال. قيل لي إنها تشعر ببعض الألم ما

www.elromancia.com

يجعلها تحتاج عناية خاصة.

كان ميتش مقطباً ما جعله يبدو وكأنه الأب وليس ماك.

قال ماك بصوت مرتفع جعل كل من في القاعة يلتفت إليه باهتمام: «الاستقبال؟ ما الذي تفعله في مكتب الاستقبال، بحق الله؟».

كانت تحضر لنفسها بعض الماء من البراد فيما أكياس التسوّق مكوّمة عند قدميها الحافيتين بعد أن خلعت الحذاء من قدميها كعادتها... ابتسمت لماك حين هرع إليها من مكتب الاستقبال، وكأن وجودها في هذا المكان طبيعي: «آسفة لقطعي الاجتماع عليك، لكنني، ومع الأسف، فوجئت بذلك أثناء التسوّق».

هز ماك رأسه وكأنه يريد أن يتأكد من سلامة قدراته العقلية.

لم يستطع أن يفهم كيف أن زوجته التي توشك على الولادة، قصدت لندن للتسوّق بينما يمكن أن تلد في أي لحظة.

– هل أنت بخير؟ ما الذي تفعلينه هنا يا تارا، بينما يُفترض بك أن ترتاحي في البيت؟ يا إلهي من النساء! متى ستفعلين ما هو الأفضل لك؟

بدا أن كلماته لم تؤثر فيها إذ هزت كتفيها بعدم اهتمام وأخذت جرعة من الماء قبل أن تجيب: «شعرت فجأة بالملل. وكان لا بد من أن أخرج من البيت».

– كان من المفترض أن تذهبي إلى متجر بيث. هل عرفت أنك جئت إلى لندن وحدك؟

– لا تلم بيث. لقد دعاها بول على الغداء فقلت لها إن عليها أن تذهب طبعاً. على أيّ حال، وبدلاً من أن أنتظر عودتها، فكرت في أن أقوم بزيارة خاطفة بالقطار إلى لندن. اشتريت أشياء جميلة للطفل، لكنني...

والتوت قسمات وجهها الجميل فجأة، فانحنت إلى الأمام وهي تمسك ببطنها المنتفخ في ثوبها الحريري الفضفاض.

واعتصر قلب ماك، فأسرع إلى جانبها ووضع يده على ظهرها يسندها كما أزاح بيده الأخرى شعرها عن عينيها.

– تارا؟ أخبريني ما بك؟ كلميني بالله عليك!

– أظن أن الطفل قادم.

– ماذا؟

– قلت إن الطفل... قادم...

بعدئذ، اعتدلت في جلوسها ونظرت إلى ماك بابتسامة صغيرة سعيدة بينما هو ينظر إليها بصمت كالمسحور.

– لا تخف، آلام الطلق تحدث عندي كل عشرين دقيقة. لذا، لدينا بعض الوقت قبل أن تبدأ الولادة فعلياً.

لم يسمع الهزل في صوتها، فاستدار نحو الموظفة الجميلة وراء المكتب: «أستريد، اتصلي بقسم الطوارئ. أريد سيارة إسعاف...».

فقاطعته تارا: «ألا يمكن أن نأخذ سيارتك؟ لقد حجزت في مستشفى «بورتلاند» الذي لا يبعد من هنا سوى خمس دقائق... فلا حاجة لإزعاج موظفي الطوارئ».

– أتعرفين أنك مجنونة؟

وأحاط وجهها بيديه وأخذ يحدق في عينيها الضاحكتين وهو يفكر في أنه لو كتب له أن يمضي مئة حياة مع هذه المرأة فلن يشبع منها أبداً.

قالت تغيظه مداعبة: «أتظن هذا جنوناً؟ انتظر حتى تراني بعد ساعتين وأنا أصرخ بكل قوتي وأمزقك إرباً إرباً».

وفي الساعة التاسعة من أمسية صيفية رائعة من أواخر شهر حزيران، أصبح تارا وماك سيمونسن والدين مزهوين لطفلة رائعة الجمال أطلقا عليها اسم بريجيت. قالت الأم إن الطفلة قد تصبح راقصة باليه مشهورة

لأن ساقيها طويلتان، فيما ألقى الأب نظرة واحدة على جمالها الطفولي المهيب ليدرك أنه التقى الأنثى الثانية في حياته التي ستأسر قلبه.

ومهما فعلت، ومهما أصبحت، فلا بأس ما دام هذا يسعدها.

www.elromancia.com

قالت وقد أدهشها أن ترى أنها تعني ذلك تماماً: «أشعر بأنني بأحسن حال».

- وأنا كذلك.

ووقف ليلمس طرف أنفها ضاحكاً: «والآن، فلنلعب لعبة السياح ونغزو محال بيع التذكارات».

اشترى لها قطة ساحرة سوداء ذات عينين خضراوين وشريطة بلون مناسب وقميصاً فضفاضاً مطرزاً قال بجرأة إنّ بإمكانها أن تلبسه للنوم. كما اشترت هي كتاباً رائع الجمال مليئاً بالصور الملوّنة لمعالم المنطقة، وقدمته هدية لماك عندما عادا إلى السيارة مستعدين للتوجه إلى منحدرات «كليفس أف هذر» المهيبة.

بدا عليه التأثر وهو يقلّب الكتاب بين يديه، ويتصفحه باهتمام: «هل لك أن توقعي عليه؟».

وأخرج من جيب سترته الداخلي قلماً ذهبياً ثميناً وقدمه لها مع الكتاب.

- بكل تأكيد.

ارتبكت فجأة وفتحت الصفحة الأولى وكتبت بيد مرتجفة قليلاً: «ماك... أشكرك لهذا اليوم الرائع. تارا مع حبي».

وأوشكت تضيف عدداً من الرموز التي تعبر عن قبلاتها له لولا أنها منعت نفسها في الوقت المناسب وقد احمر وجهها ثم أعادت الكتاب والقلم إلى ماك.

- شكراً.

- أهلاً وسهلاً.

وأخذت تنظر أمامها لا تريد أن تلتفت إليه خوفاً من أن تلقي بنفسها بين ذراعيه.

- أتريدين الذهاب إلى البيت؟

- لماذا؟

والتفتت إليه لترى الرغبة الساخرة في عينيه اللتين كانتا تلتهمانها.

- هل أنت حقاً بحاجة لطرح سؤال؟

- ولكن ماذا عن منحدرات «كليفس أف هذر»؟

فدهشت عندما أمال رأسه إلى الخلف وقهقه ضاحكاً: «يا حبيبتي، إنها موجودة منذ آلاف السنين، وأظنها ستبقى للغد أو بعد الغد، هذا إذا رغبنا في العودة إليها».

توهج وجهها خجلاً: «هذا مضحك للغاية. يسرني أنك...»

وصمتت فجأة وهي تراه يخرج من السيارة ويركض نحو طفل يدرج في موقف السيارات.

بدا واضحاً أن الطفل منزعج للغاية فحمله بين ذراعيه وضمه إلى صدره بقلق وهو يتحدث إليه مواسياً. وتوقف قلب تارا عن الخفقان. الحياة ليست عادلة، من الواضح أنه كان ليصبح أباً رائعاً. ولعله ما زال كذلك.

وخفق قلبها لحظة لهذه الفكرة، وبدت على فمها ابتسامة عطف عندما وصلت أم الطفل الذاهلة المضطربة وقالت وهي تبكي: «كنت في متجر الهدايا فتركت يده لحظة فقط. يا إلهي... ماذا أستطيع أن أقول؟ شكراً شكراً».

واحتضنت الطفل بشدة، وابتسمت لماك ابتسامة مرتجفة: «فليباركك الله. لا أدري ماذا كنت لأفعل لو ضاع مني».

- لا بأس.

ولمس ذراعها مطمئناً ثم أخذ يشعث شعر الطفل الأشقر: «إنه على ما يرام الآن. لعله أخذ يجول مستكشفاً حتى أنه لم يدرك أنه فقدك إلا منذ لحظات. انظري إنه يبتسم».

وكان الطفل قد التفت نحو ماك ليبتسم له وكأنه يعرفه طوال حياته.